
اجاثا كريستي
www.7akawyna.com
مرمورية
موعد مع الموت

أجاثا كريستي

(1890 - 1976)

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

موعد مع الموت

The Man in the Brown Suit

لقد اكتشفت «آني بيدينجفيلد» أن لديها أحد مفاتيح جريمة قتل في هذه المدينة النائية ، فمن خلال هذه القصاصة الورقية الغريبة أمكنها أن تربط بين سرقة الألماس وحادثة الموت العرضية ومحطة السكة الحديد بـ «لندن». ورحلة «آني » لحل هذا اللغز تتطلب منها الابتعاد لأبعد الحدود إلى «إفريقيا» وتسلق الجبال بجهد في كل خطوة تخطوها.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953382565

9 789953 382562

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

The Man in the brown suit

(1924)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

لقد ألح عليّ الكثيرون بأن أكتب هذه القصة ، فلم أر مناصا من الاستجابة إلى هذا الإلحاح .

بيد أني لا أكتمك أيها القارئ أن بعض الوقائع قد فاتتني ، فكان لابد أن أستعين بمذكرات السيد "**أوستاس بيدلر**" لأنقل عنها ما أسد به هذه الثغرات .

*****

كان أبي البروفيسور "**بيدنجفيلد** "من أكبر العلماء في "**إنجلترا**" في علم الإنسان البدائي . وكانت مؤلفاته مرجعا نفسيا ، ولكنه مات فقيرا؛ لأن كتبه لم تكن تلقى لها سوقا إلا عند العلماء دون الجماهير ، فكان ما يطبع منها محدودا يدر عليه دخلا قليلا .

ولما مات أبي اضطررت إلى أن أهجر القرية التي نشأت فيها ، وأن أستقر في "**لندن**" ، سعيا وراء عمل أرتزق منه .

وذات يوم من أيام شهر كانون الثاني (يناير) – الثامن منه – كنت راجعة من لقاء فاشل مع سيدة زعمت في إعلانها أنها في حاجة إلى سكرتيرة ، فلما تداولنا في الأمر أدركت أنها إنما تريد في الواقع شغالة لا سكرتيرة .

وهبطت الدرج المؤدي إلى نفق القطار الكهربائي ، وذهبت أتمشى على الرصيف أترقب قطاري . وبلغت نهاية النفق ، وكان المكان خاليا ليس فيه أحد من الركاب سوى رجل واحد ، كان واقفا على الرصيف ينتظر قدوم القطار .

ومررت بالرجل وتجاوزته ، وعند ذلك نفثت من صدري عطسة شديدة فقد كان معطف الرجل يفوح بالنفتالين ، الذي يزكم الأنوف . وكانت رائحة النفتالين النفاذة أشد مما أحتمل ، كان الرجل ضئيل الجسم ، نحيف البنية ، تشوب وجهه سمرة واضحة ، وله عينان زرقاوان ولحية صغيرة سوداء .

وفي هذه اللحظة استدار الرجل كأنما ليتابع المشي على رصيف القطار . وتطلع

إليّ برهة ، ثم تجاوزت عيناه كتفي إلى شيء ورائي ، فانقلبت سحنته، وتبدت في سيماه أمارات الخوف ، بل الهلع . وارتد الرجل خطوة إلى الوراء كأنما ليتقي خطرا داهما مفاجئا ، ونسي وهو في غمرة ذعره أنه كان واقفا على حافة الرصيف ، وسقط فوق القضبان والأسلاك المكهربة ، فانبعث منها وميض صاعق وفرقعة شيء يحترق .

وأطلقت صرخة مدوية ، وهرع الناس راكضين على صرختي . لقد صعق التيار الكهربائي الرجل المسكين . ونقل رجال المحطة الجثة إلى الرصيف .

وبرز من بين الجمع رجل طويل القامة رمادي اللحية عريض المنكبين ذو رأس منبعج ، وهو يقول :

– اسمحوا لي ان أمر .. إنني طبيب .

وانحنى فوق الرجل المسجى فوق الرصيف ، ومضى يفحصه .. ثم ما لبث أن انتصب قائما وهو يقول :

– لا أمل يرجى ... إنه ميت دون شك .

وداخلني شعور بالغثيان ، وهرولت أنشد المصعد ، وكان الطبيب الذي فحص الجثة يتقدمني بخطوة أو خطوتين .

ورأيت المصعد يهبط ويخرج منه مستقلوه ، وأسرع الطبيب يجري ليلحق به قبل أن يعاود الصعود ، وفيما هو يفعل ذلك سقطت منه ورقة استقرت على الأرض .

وانحنيت التقط رقعة الورق ، وجريت بعقبه لأعيدها إليه ، ولكن بابيْ المصعد كانا قد انطبقا ، وأخذ يصعد .

ولم يكن مدونا بالرقعة إلا بضعة أرقام وكلمتان . وكان هذا هو نصها:

"17 . 22. 1 قصر كيلموردن" .

وهممت بأن أقذف بالورقة إلى قارعة الشارع وأمضي في طريقي ، ولكن زكم أنفي في هذه اللحظة رائحة النفتالين النفاذة ، وكانت هذه الرائحة منبعثة من الورقة التي بين يدي ..

وعقدت ما بين حاجبي مفكرة : لهذه الورقة رائحة النفتالين ولمعطف الرجل الذي وقع فوق القضبان نفس الرائحة – فما معنى هذا .. ؟

لابد أن هذه القصاصة كانت في جيب الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة وأن الطبيب تشلها وهو يفحص الجثة .

وطويت الورقة ودسستها في حقيبتي ، وعدت إلى بيت السيد "**فليمنج**" .. المحامي الذي كان يتولى شئون أبي وقد تفضل واستضافني في بيته بـ "**لندن**" بعد أن كاشفني بالحقيقة المؤلمة . وهي أن أبي لم يترك لي سوى ثمانين جنيها هي كل ثروته .

ورويت للسيدة "**فليمنج**" ما كان من أمر المأساة التي شهدتها ، ثم لذت بغرفتي، وأسلمت نفسي إلى التفكير .

بدأت أتمثل ما حدث على رصيف المحطة .. الجثة المسجاة على الأرض .. الطبيب المجهول يبرز من بين الصفوف... الطبيب يفحص الجثة .. الطبيب.. وهنا فطنت إلى شيء لم أنتبه إليه إذ ذاك .. شيء عجيب لا يمكن أن يصدر من طبيب .

ونزلت إلى قاعة المائدة لأتناول العشاء . وقالت السيدة "**فليمنج**" :

– لا شك في أنهم سوف يستدعونك لحضور جلسة التحقيق .

عقدت جلسة التحقيق ، وصحبني السيد "**فليمنج**" إلى المحكمة وتبين من التحقيق أن الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي يدعى "**ل . ب . كارتون**" . ولم يجد رجال الشرطة في جيوبه إلا تصريحا من أحد سماسرة العقارات يخوله الحق في مشاهدة بيت معروض للإيجار على ضفة النهر بالقرب من "**مارلو**" معروف باسم "**فيللا الطاحونة**" .. ومن هذا التصريح استطاعت الشرطة أن تستدل على اسمه المدون به وهو "**ل . ب . كارتون**" المقيم في فندق "**راسل**" . وقد تعرف كاتب استعلامات الفندق على الجثة ، وقرر أن الرجل نزل بفندقه في اليوم السابق ، ودون اسمه في السجل على أنه قادم من "**كمبرلي**" بـ"**جنوب إفريقيا**" ، وبدا له أنه قادم مباشرة من الباخرة .

ولقد كنت الوحيدة بين الشهود التي تعرف شيئا عن الحادث .

وسألني قاضي التحقيق :

– أتعتقدين أن الحادث كان قضاء وقدرا ؟

– إنني على يقين من هذا . لقد أفزعه شيء ما ، فارتد خطوة إلى الوراء دون أن يفطن إلى أنه واقف على حافة الرصيف فسقط على القضبان .

– ولكن ما الذي أفزعه . . ؟

– هذا ما لا علم لي به .

وعقب القاضي على شهادتي بأن أصدر قراره بأن الحادث إما أن يكون قد وقع قضاء وقدرا ، أو أن الرجل تعمد أن يلقي بنفسه على القضبان المكهربة بغية الانتحار .

ثم استطلى القاضي يقول :

– ولكن العجيب أن الطبيب الذي قام بفحص الجثة لم يتقدم للإدلاء بأقواله . ومما يؤسف له أن أحدا من رجال الشرطة لم يفكر في أن يسأله عن اسمه وعنوانه .

وارتسمت على شفتي ابتسامة خفيفة وأنا أستمع إلى كلمات القاضي ، فقد كنت الوحيدة التي أعتقد أن هذا الحادث لم يكن قضاء وقدرا ، وأن له جوانبه الخفية .

ولذلك استقر عزمي منذ هذه اللحظة على أن أقوم لحسابي الخاص بمهمة الشرطي السري .

❋❋❋❋❋

حملت إلي صحف الصباح التالي مفاجأة مذهلة لم أكن أتوقعها ، فقد صدرت صحيفة الـ **"ديلي بادجيت"** وفي صدرها النبأ التالي بالخط العريض :

"العثور على امرأة مخنوقة في فيلا الطاحونة المشئومة" .

وكان هذا نص ما نشرته الصحيفة :

"اكتشف بالأمس مأساة رهيبة في **"فيللا الطاحونة"** في **"مارلو"** التي يملكها السيد **"أوستاس بيدلر"** عضو البرلمان وهو البيت نفسه الذي عثرت الشرطة على تصريح بزيارته في جيب ذلك الرجل المدعو **"كارتون"** الذي صعقته القضبان المكهربة . وذلك أن الحارسة عثرت على جثة امرأة حسناء في إحدى غرف الطابق العلوي وقد قتلت خنقا ، ويقال إن القتيلة امرأة أجنبية الجنسية ومازال التحقيق جاريا . أما السيد **"أوستاس بيدلر"** فمتغيب الآن عن **"إنجلترا"** حيث يقضي فصل الصيف في **"الريفييرا"** " .

- 2 -

أسفر التحقيق في الحادث الجديد عن الحقائق التالية :

بعد الساعة الواحدة من ظهر اليوم الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) دخلت امرأة أنيقة تتحدث بلكنة أجنبية إلى مكاتب السيدين **"بتلر وبارك"** وشركائهما سماسرة العقارات في **"نايتسبريدج"** ، وأبدت رغبتها في استئجار أو شراء بيت على ضفاف نهر **"التيمز"** ، على أن يكون قريبا من **"لندن"** . وعرض عليها السماسرة قائمة بما لديهم من بيوت كان من بينها **"فيللا الطاحونة"** . وذكرت المرأة أنها تدعى السيدة **"دي كاستينا"** ، وأنها مقيمة في فندق **"ريتز"** . ولكن تبين بعد مصرعها أنها ليست نزيلة في هذا الفندق .

واستدعيت للشهادة السيدة **"جيمس"** زوجة بستاني السيد **"أوستاس بيدلر"** ، وهي الحارسة التي تشرف على الفيللا ، فقررت في أقوالها : إنه في الساعة الثالثة من اليوم نفسه حضرت السيدة لمشاهدة المنزل ، وأبرزت تصريحا من السماسرة يخولها الحق في زيارته ، وزودتها السيدة **"جيمس"** بالمفاتيح ، فمضت إليه وحدها دون أن تصحبها المشرفة . وبعد بضع دقائق حضر شاب وصفته السيدة **"جيمس"** بأنه عريض المنكبين حليق اللحية يرتدي سترة رمادية . وذكر للمشرفة أنه صديق للسيدة التي سبقته .

وبعد خمس دقائق ظهر الشاب مرة أخرى وأعاد إليها المفاتيح ، وذكر لها أن البيت لم يناسبهما . ولم تكن السيدة الأجنبية في صحبة الشاب ، فخطر للسيدة "جيمس" أنها لابد أن تكون قد سبقته إلى الطريق . ولكن الذي لم تفطن إليه إذ ذاك أن الشاب كان يبدو عندئذ منزعجا قلقا . وقالت : "كان يبدو وكأنه رأى شبحا" .

وفي اليوم التالي جاء رجل بصحبته سيدة لمشاهدة المنزل واكتشفا الجثة مسجاة على الأرض في إحدى غرف الطابق الأعلى . وتعرفت السيدة "جيمس" الجثة بأنها تلك المرأة الأجنبية التي جاءت في اليوم السابق ، كما تعرفها السماسرة بأنها تلك التي قدمت نفسها إليهم باسم السيدة "كاستينا" . وقرر الطبيب الشرعي أن الوفاة حدثت منذ أربع وعشرين ساعة .

وذهبت صحيفة الـ"ديلي بادجيت" إلى أنه من المحتمل أن يتبادر إلى الذهن أن رجل النفق الذي صعقه التيار الكهربائي هو الذي قتل المرأة ثم انتحر بعد ذلك . ولكن لما كان الرجل قد مات في الساعة الثانية . بينما كانت المرأة لا تزال على قيد الحياة في الساعة الثالثة ، فلا شك منطقيا أنه لا شأن لأي من الحادثين بالأخرى . أما التصريح بزيارة "ڤيللا الطاحونة" الذي وجد في جيب قتيل النفق ، والتصريح الآخر الذي جاءت به قتيلة الڤيللا فلم يكن أمرهما إلا مجرد مصادفة بحتة .

وكان قرار قاضي التحقيق هو "توجيه تهمة القتل العمد ضد شخص أو أشخاص مجهولين" .

وهكذا انطلق رجال الشرطة ومخبرو صحيفة الـ"ديلي بادجيت" يبحثون عن الشاب ذي السترة الرمادية الذي جاء بعقب القتيلة عند ذهابها لمشاهدة "ڤيللا الطاحونة" .

وقد عثرت الشرطة في حقيبتها السوداء الحريرية على كيس مليء بأوراق النقد وحفنة من النقد الفضي ومنديل حريري ، وتذكرة الإياب إلى "لندن" . ولكن لا شيء آخر يمكن أن يكشف عن شخصيتها .

كانت هذه هي التفاصيل التي نشرتها الـ"ديلي بادجيت" عن هذه الأحداث ، وقد عقبت عليها بقولها :

"ابحثوا عن الشاب ذي السترة الرمادية" . وكانت في كل يوم تكرر هذا النداء ولا تفتأ تردده .

وهكذا استقر في أذهان الناس أن حادث "ڤيللا الطاحونة" كان جريمة قتل متعمدة ، أما حادث النفق فكان مجرد قضاء وقدر .

فهل كان حقيقة قضاء وقدرا .. ؟

ذهبت إلى "اسكتلانديارد" ، وقابلت المفتش "ميدوز" ، وتبادلنا التحية في هدوء ودعاني إلى الجلوس ، وسألني أن أدلي إليه بما لدي من معلومات .

وقلت له :

– إنك سمعت بالتأكيد بحادث قتيل النفق .. الرجل الذي عثروا في جيبه على تصريح بزيارة "ڤيللا الطاحونة" .

فقال المفتش "ميدوز" في سآمة واستخفاف :

– آه .. ! أنت إذن الآنسة "بيدنجفيلد" التي أدلت بشهادتها في المحكمة .. نعم

– نعم .. كان في جيب الرجل تصريح بالتفرج على الڤيللا ، وهذا التصريح موجود لدى كثيرين غيره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم لابد أن يقتلوا .

وساءني استخفافه وقلت له :

– ولكن ألا ترى أن من الغريب أنه لم يكن في جيب الرجل تذكرة الإياب .. ؟

– لا يبدو الأمر غريبا ، والكثيرون يفقدون تذاكرهم بسهولة .. أنا نفسي سبق أن فقدت تذكرتي أكثر من مرة .

– ألم تلاحظ أنه لم يكن معه شيء من النقود .. ؟

– كانت معه بعض قطع من النقود المعدنية .

– ولكنكم لم تعثروا على محفظته .

– كثيرون من الناس لا يحملون محافظ على الإطلاق .

ورأيت أن أحرجه من ناحية أخرى .. قلت :

– أليس غريبا أن الطبيب الذي فحص جثة قتيل النفق لم يتقدم إلى قاضي التحقيق للإدلاء بشهادته .. ؟

– وما وجه الغرابة في ذلك ..؟ إن الأطباء قوم مشغولون لا يجدون لحظة فراغ للتوجه إلى المحاكم .

فقلت في غيظ وحنق :

– إنك مصرّ يا سيدي المفتش على الا تجد وجها للغرابة في أي شيء أشير إليه .

فقال المفتش وعلى شفتيه ابتسامة استخفاف :

– إنني أرى يا آنسة "**بيدنجفيلد**" انك فتاة واسعة الخيال تتخيلين أشياء لا وجود لها ، وأنا كما ترين رجل مشغول .

وأدركت أنه يوحي إلي بالانصراف . وكان في الغرفة ضابط آخر رأى أن يتدخل في الحديث قائلا :

– أرى أنه يحسن بالآنسة "**بيدنجفيلد**" أن تدلي إلينا بما لديها من معلومات .

فقال المفتش "**ميدوز**" متهكما :

– هيا حدثيني بما تريدين .

ولذتُ بالصمت إذ شعرت بأن كرامتي قد أهينت .

وقال المفتش :

– إنك قررت في التحقيق أن الحادث لا يمكن أن يكون انتحارا ، فما الذي دفعك إلى هذا الاعتقاد ..؟

– لأني رأيت على وجه الرجل قبل أن يقع فوق الأسلاك المكهربة دلائل الخوف والفزع ، فما الذي أخافه .. ؟ لست أنا بالتأكيد ، ولكن ربما كان هناك رجل يتمشى على الرصيف هو الذي أثار رعبه .

– ولكنك لم تري هذا الرجل ..؟

– كلا . فإني لم أدر رأسي . وفور أن رفعت الجثة من فوق القضبان تقدم رجل

من بين صفوف الجماهير ، ومضى يفحص الجثة .

فعقب المفتش في جفاء :

– هذا أمر طبيعي .

فقلت :

– ولكن هذا الرجل لم يكن طبيبا .. !

فبدت الدهشة في وجهه وتساءل :

– وكيف عرفت هذا يا آنسة "**بيدنجفيلد**" ..؟

فقلت :

– في أثناء الحرب كنت أعمل ممرضة في المستشفيات العسكرية ، ورأيت الأطباء وهم يفحصون الجثث ، ولهم في ذلك طريقة واحدة لا تكاد تختلف . كما أن الطبيب يعرف بداهة أن القلب في الجهة اليسرى من الصدر ، أما هذا الطبيب المزعوم فكان يتحسس النبض في الجهة اليمنى .

– هل فعل ذلك حقا ..؟

– بالتأكيد ، وإن كنت لم أفطن إلى ذلك إلا فيما بعد عندما تخيلت وضع الجثة وموقف الطبيب .

– لعلك واهمة أو مخطئة .

– إن الذي أريد أن أقوله هو أن هذا الرجل طبيب كاذب مدع ، ولا شك في أن غرضه من فحص الجثة هو الاستيلاء على حافظة القتيل؛ ولذلك لم تعثر الشرطة على حافظة في جيبه .

– هل لك أن تصفي الرجل ..؟

– طويل القامة عريض المنكبين يرتدي معطفا أسود ، وله لحية صغيرة سوداء مدببة وفوق عينيه إطار سميك ورأسه منبعج .

فقال المفتش مزمجرا :

– هذه أوصاف لا تؤدي إلى شيء فمن السهل اتخاذ اللحية والنظارات وسيلة

للتنكر .

وعقابا له على تشككه واستهانته بأقوالي آثرت أن أكتم عنه نبأ القصاصة التي سقطت من الطبيب وهو يهرع خارجا من المحطة .

- 3 -

بعد شيء من التردد . انطلقت إلى بيت اللورد "**ناسبي**" . صاحب صحيفة الـ"**ديلي بادجيت**" .

كان من المشكوك فيه أن يقابل مثل هذا الرجل خطير الشأن أي إنسان يطرق بابه، ولكنني اتخذت الحيطة لذلك ، فأخذت معي بطاقة تحمل اسم المركيز "**دي لومسلي**" ، عثرت عليها في بيت السيد "**فليمنج**" ، وهو من مشاهير الصيادين الذين تردد الصحف أسماءهم .

ودون وازع من ضمير أو بادرة من الندم سطرت على البطاقة هذه الكلمات :

"أرجوك أن تمنح الآنسة "**بيدنجفيلد**" بضع دقائق من وقتك" .

وأفلحت الخدعة ، واستقبلني اللورد "**ناسبي**" على الفور معتقدا أنني سكرتيرة الصياد ذائع الشهرة .

وسألني في اقتضاب :

– ما الذي يبغيه المركيز "**دي لومسلي**" .. ؟ إنك بالتأكيد سكرتيرته ..؟

وفي برود وهدوء أجبت :

– أريد أن أبدأ بأن أقول إنني لا أعرف المركيز "**دي لومسلي**" ، وهو أيضا لا يعرف شيئا عني ، والبطاقة التي بعثت بها إليك أخذتها سرا من البيت الذي أقيم فيه . أما الكلمات المسطورة على البطاقة فأنا التي كتبتها بنفسي . وقد فعلت هذا لأنني أردت أن أقابلك لأمر مهم .

حملق إلي المليونير برهة ، وخيل إليّ لحظة أنه يهم بأن يصرخ في وجهي ويطردني من بيته ، ولكنه أخيرا ازدرد ريقه مرتين ، وخاطبني في هدوء قائلا :

– إنني معجب بثبات أعصابك أيتها الشابة .. والآن هانتذي قد قابلتني ، فإن راق لي حديثك فسوف أمنحك دقيقتين من وقتي .

فأجبت :

– إنهما كافيتان جدا ، وسوف يثير حديثي اهتمامك .. إنه يتعلق بلغز "**فيللا الطاحونة**" .

وفي إيجاز سردت عليه كل ما لدي من معلومات عن حادث قتيل النفق ، فلما فرغت من حديثي سألني فجأة :

– ما الذي تعرفينه عن شكل الرؤوس الآدمية ؟ فإنك ذكرت لي أن رأس الطبيب المزعوم كان منبعجاً .

وذكرت له أن أبي كان من مشاهير رجال الحفريات وعلم الأجناس ، وأن هذا كان مصدر خبرتي .

وقال :

– إن ما لديك من معلومات ضئيل غير قاطع ، ولا يمكن أن نتخذه أساسا لخطة نسير على هداها .

– إنني أعلم هذا ..

– إذن فما الذي تبغين مني ..؟

– أريد أن تعينني مخبرة بصحيفتك ليتسنى لي متابعة الأمر والتحري عن خفاياه .

– لا يسعني أن أفعل هذا فإن لدي محررا خاصا يتولى مثل هذه الشئون .

– ولكن ليس لديه معلوماتي .

– وهل تحتفظين بشيء آخر خلاف ما ذكرته لي .. ؟

فلما أومأت إيجابا تساءل :

– وما هذا الشيء يا ترى ..؟

– عندما استقل الطبيب المزعوم المصعد ليخرج إلى الشارع سقطت من جيبه

قصاصة من الورق ، فما كان مني إلا أن التقطتها ، وكانت تفوح منها رائحة النفتالين ، أي الرائحة نفسها التي كانت تنبعث من معطف القتيل ، فادركت على الفور أن الطبيب استولى عليها من جيب القتيل . وكان مسطورا على الورقة بضعة أرقام وكلمات .

– إذن دعينا نر هذه القصاصة .

ومد إلي يده فقلت باسمة :

– إنها "سري" الذي أحتفظ به لنفسي .

واستطرد اللورد :

– اسمعي .. يمكنك أن تتابعي البحث ، فإذا اهتديت إلى شيء ذي أهمية فابعثي به إلي ، وعند ذاك أقرر ما إذا كنت تصلحين محررة في الـ "**ديلي بادجيت**" أم لا .. يجب أولا أن تقدمي إلي شيئا مفيدا ..

وبعد لحظات كنت في الطريق وقد استطارني الفرح .

- 4 -

ما إن عدت إلى البيت حتى أخرجت القصاصة التي وقعت من الطبيب المزعوم وانكببت عليها أتاملها .

كان هناك خمسة أرقام ، كما كان هناك نقطة بعد الرقمين الأولين من ناحية اليسار .

وغمغمت اقول لنفسي : 17 ثم 22 ثم 1 ، ولكن أي معنى لهذا .. ؟ إنها أرقام بلا معنى .

ثم عدت أجمعها : 1 + 7 = 8 ثم + 1 + 2 + 2 = 13 .

وأردفت أخاطب نفسي : والعدد 13 رقم منحوس ، فهل أراد الطبيب المزعوم أن يقدم إنذارا .. ؟ كان أولى به أن يكتب الإنذار واضحا أي رقم 13 مجردا .

ثم لاحظت أن هناك مسافة فراغ صغيرة بين الرقم 1 والرقم 2 ، فهل لذلك الفراغ

معنى ..؟ وبدأت أولي اهتمامي للكلمات المسطورة على القصاصة .

كانت الكلمة هي "**قصر كيلموردن**" ، وهذا بدون شك اسم مكان ما ، فلعله بيت إحدى الأسر الأرستقراطية .

فما الذي ترمي إليه هذه العبارة ..؟ وريث مخطوف أو غائب ..؟ رجل يطالب باللقب ..؟ كنز مدفون ..؟ أو ربما كان القصر مهدما خربا .

وأخذت بنظرية الكنز المدفون ، فالأرقام عادة تدل على عدد الخطوات التي يمشيها الإنسان أماما أو يسارا أو يمينا لكي يصل إلى الكنز المخبوء . ولكن الأهم من هذا أن أعرف أين يقع قصر "**كيلموردن**" ..

ومضيت إلى المكتبة وعدت بعد ساعة أحمل مجموعة من كتب الدليل التي تتحدث عن تاريخ النبلاء والقصور الأثرية العتيقة ، وبدأت أتصفحها بحثا عن كلمة "**كيلموردن**" ولكنني لم أعثر فيها على أثر لهذه الكلمة .

وخطرت لي فكرة أخرى .. ربما كان هذا المكان فندقا أو مقهى فإذا كان الأمر كذلك فسوف أجد مشقة كبرى في الاهتداء إلى المكان؛ إذ يستحيل علي أن أرتاد "**لندن**" بما فيها من شوارع لا حصر لها سعيا وراء هذا المكان قصر "**كيلموردن**" ..

ثم ما أدراني أن هذا المكان المجهول في "**لندن**" وليس في مدينة أخرى ..؟

واستولت علي الحيرة ، ولم أعد أدري كيف أتصرف، وخطر لي انه لابد أن أزور قبل كل شيء مكان الجريمة . وذهبت إلى مكتب السماسرة فعرضوا علي قائمة بالبيوت الخالية ، ولكنهم لم يذكروا من بينها "**فيللا الطاحونة**" .

– أليس لديك شيء آخر ..؟

وأجاب الكاتب في شيء من التردد :

– بلى .. ولكن الواقع أن لدينا ذلك البيت المعروف باسم "**فيللا الطاحونة**" .

– أتعني البيت الذي عثروا فيه على امرأة مخنوقة ..؟ حسنا .. أعطني تصريحا بزيارته ، فإنه إن أعجبني فلا شك في أنهم سيخفضون إيجاره مراعاة لهذه الظروف ، وأكون أنا الرابحة .

وبعد نصف الساعة كنت أطرق باب السيدة "جيمس" المشرفة على "ڤيللا الطاحونة" . وسألتني :

– ألم تقرئي نبأ الفاجعة التي وقعت هنا ..؟

وأجبت :

– بل قرأتها ، ولكني لا أبالي .. إذا أعجبني فلن أتردد في أن أستأجره .

– إنك في الحق فتاة شجاعة .

واستطردت تتحدث عن القاتل !

قالت :

– إنه رجل أنيق الثياب حلو المعشر لطيف الحديث . وكان يرتدي سترة رمادية حسنة التفصيل ، وله مشية عسكرية ، ولا شك في أنه كان جنديا .

– ولكن ما شأنه بهذه المرأة حتى يقتلها ..؟

– من يدري ..؟ لعل هذه المرأة الأجنبية كانت صديقته ثم خانته وغدرت به .

وسألتها :

– أكانت شقراء أم سوداء الشعر ..؟

– بل كانت ذات شعر أسود ، لكن وجهها كان شديد البياض . ولها شفتان رفيعتان مضمومتان تدلان على القسوة .

– وهل كانت تبدو عصبية مهتاجة الأعصاب ..؟

– بل على العكس كانت هادئة ، ولا تكاد الابتسامة تزايل شفتيها .

– والسيد "أوستاس بيدلر" صاحب البيت .. أمازال في مدينة "كان" ..؟

– لقد حضر بعد سماعه بالمأساة ، وفي صحبته سكرتيره السيد "باجيت" الذي ضاعف أجري حتى لا أستقيل .

– وما المدة التي أمضاها القاتل داخل البيت ..؟

– إنه لم يلبث فيه أكثر من خمس دقائق ، ثم جاء إلي يحمل المفاتيح ، ولم أفطن إذ ذاك إلى أنه كان بادي الانفعال والانزعاج .

وكنت حريصة على أن أوجه إليها أسئلتي بطريقة عارضة حتى لا تفطن إلى أنني أقوم باستجوابها ، ولكنني وجدتني مضطرة إلى أن أوجه إليها هذا السؤال :

– ولكن ما شكل رأسه ..؟ أهو مفلطح أم منبعج ..؟

– لا هذا ولا ذاك .. إنه رأس عادي الشكل كغيره من الناس .

ثم ناولتني المفاتيح ، وذهبت إلى "ڤيللا الطاحونة" وأنا أفكر فيما سمعت منها وفيما رأيت بعيني .

إن الأوصاف التي أدلت بها السيدة "جيمس" لا تنطبق على قتيل النفق ، فهو إذن لم يكن هو الذي دخل بعقبها .

ولم يكن لدي شك في أن قتيل النفق اتفق مع المرأة الأجنبية على اللقاء في "ڤيللا الطاحونة" لسبب ما ، وحصل كل منهما على تصريح بزيارة البيت .

ولكن حدث وهو ينتظر القطار ليلحق بها أن لمح الطبيب المزعوم ، فاستولى عليه الرعب لأن بينهما معرفة سابقة ، وسقط على القضبان ومات مصعوقا بالتيار الكهربائي . وأسرع الطبيب المزعوم إلى الڤيللا ، وفاجأ المرأة وقتلها .

كانت هذه هي نظريتي ، فهل أستطيع أن أقيم الدليل على صحتها ؟

ودسست المفتاح في ثقب الباب وفتحته ودخلت ، وشعرت برجفة ورهبة ، فقد كان يخيم على البيت شبح الموت .

- 5 -

تناولت مفكرتي من حقيبتي ، وخططت عليها بالقلم الرصاص رسما كروكيا لغرفة الجريمة وأبوابها ومنافذها .

وبينما أنا أعيد القلم إلى الحقيبة انفلت مني ونفذ من تحت باب دولاب صغير مشيد في الجدار تحت النافذة . وفتحت باب الدولاب فتدحرج القلم مرة أخرى ، واستقر في أحد الأركان ، فمددت يدي إلى داخله أتحسس المكان بحثا عن القلم ولمست شيئا فأخرجته ، فإذا به لفافة فيلم أسطوانية الشكل .

وساءلت نفسي : أيكون فيلما قديما مملوكا لصاحب البيت السيد "**أوستاس بيدلر**" نسيه في الدولاب ، أم يكون هو الشيء الذي جاءت المرأة الأجنبية إلى البيت ، ثم القاتل في إثرها لكي يبحثا عنه ؟

وتساءلت : "من الذي أودع هذا الفيلم في الدولاب ؟ أهي المرأة أم الرجل؟

وذكرت أن محتويات حقيبة القتيلة كانت سليمة لم تمس ، فلو أنها فتحت في أثناء عراكها مع القاتل وانزلق منها الفيلم لكان محتملا جدا أن تنزلق منها أيضا بعض قطع النقد المعدنية . ولما كان هذا لم يحدث فارجح الظن إذن أن الرجل هو الذي وضع الفيلم في الدولاب" .

وشممت الفيلم فإذا برائحة النفثالين تفوح منه بشدة ، كما فاحت من قبل من معطف القتيل ومن القصاصة التي سقطت من يد الطبيب المزعوم .

وعثرت على قطعة صغيرة من القماش عالقة بحافة الدولاب ، فعرفت أنها هي مصدر هذه الرائحة . فهل يكون قتيل النفق هو الذي أودع الفيلم في الدولاب؟ ولكن لا .. إن الطبيب المزعوم هو الذي استولى على الفيلم من جيب قتيل النفق كما استولى على قصاصة الورق وقد انزلق منه الفيلم إلى الدولاب في أثناء عراكه مع المرأة .

واعدت المفاتيح إلى حارسة الفيللا ورجعت إلى المدينة .

وفي البيت عدت أفحص قصاصة الورق من جديد ، وأحاول أن أجد لأرقامها وكلماتها تفسيرا جديدا .

فلنفترض أن هذه الأرقام 1.22.17 تماثل تاريخ يوم معين ، فما يكون هذا اليوم؟ ألا يجوز أن يكون اليوم السابع عشر من الشهر الأول أي شهر يناير (كانون الثاني) سنة 1922 ولا معنى للرقم 22 - أو اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) ولا معنى للرقم 17 .

ولكن يجب أن أهتدي سريعا إلى هذا المكان المسمى "**قصر كيلموردن**" فإننا اليوم في الرابع عشر من شهر يناير (كانون الثاني) سنة 1922 ، فلم يبق وقت على اليوم الموعود (يوم 17) إلا أياما ثلاثة .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ذهبت مبكرة إلى محل "**كوداك**" ، وطلبت من العامل أن يحمض لي الفيلم ، فلما فحصه نظر إلي في استغراب وقال :

- لا شك في أنك أخطأت يا سيدتي فهذا هو الجزء غير الحساس من الفيلم .

وغادرت المحل وأنا أشعر بالخيبة والفشل .

وبينما أنا راجعة إلى داري لمحت في إحدى واجهات المكاتب السياحية صورة سفينة تشغل الواجهة وقد كتب تحتها : "**الباخرة قصر كيلموردن**" .

إذن فهذا هو "المكان المجهول" الذي حفيت قدماي بحثا عنه ؟

ودفعت باب المكتب وسألت عن مواعيد الباخرة "**قصر كيلموردن**" ، وأتاني الجواب بأنها ستغادر ميناء "**ساوث هامبتون**" يوم 17 الجاري في طريقها إلى "**كيب تاون**" .

ولم أتردد لحظة واحدة .. خاطرت بكل ما أملك من مال لأحجز لنفسي تذكرة على الباخرة "**كيلموردن**" .

- 6 -

مقتطفات من مذكرات

السيد "أوستاس بيدلر" عضو البرلمان

سكرتيري الخاص "**جاي باجيت**" شاء أن يدفع بي إلى خضم الأحداث العنيفة المثيرة ، فقد دخل عليّ ذات يوم وبين يديه برقية مفضوضة ، وعلى وجهه أمارات العبوس .

و"**باجيت**" - إن كنت لا تعلم - سكرتير مجد نشط لا يفكر في شيء إلا العمل. وفي الأسبوع الماضي أخذ يتحدث عن "**فلورنسا**" وجمال جوها وروعة تماثيلها وتحفها ، فخطر لي أن أريح نفسي منه ولو أسبوعا واحدا ، فابتدرته بقولي :

– غدا ستسافر يا صديقي العزيز إلى "**فلورنسا**" وسأتكفل بجميع نفقاتك .

وكانت نفقاته ثمنا رخيصا للراحة التي شعرت بها في أثناء غيابه ، فقد فعلت خلال هذا الأسبوع كل ما يحلو لي ، غير واقع تحت سيطرة سكرتير يوجهني ويرشدني إلى ما يجب أن أفعل أو لا أفعل .

ولكنني حين فوجئت به ذات صباح والبرقية في يده عرفت أن عهد الحرية قد انتهى . وقال لي :

– إنها من "**مارلو**" ! .. لقد قُتلت امرأة في "**ڤيللا الطاحونة**" .

فضربت كفا بكف وقلت وقد ثار اهتمامي :

– ولماذا في بيتي أنا بالذات دون الناس أجمعين ! ولكن من الذي قتلها؟ ومن تكون هذه المرأة ؟

– لم يرد في البرقية شيء عن هذا .. وأظن أنه يجب أن نعود إلى "**إنجلترا**" على الفور ، إذ لابد أن تستمع الشرطة إلى أقوالك .

وكان على حق في هذا ، فلم يكن أمامي مفر من أن أقطع رحلتي وأتخلى عن إجازتي في "**الريفييرا**" .

سافرت إلى "**إنجلترا**" ، وهدأت من ثائرة السيدة "**جيمس**" حتى لا تتخلى عن حراسة "**ڤيللا الطاحونة**" ، ولكي أرضيها وأغريها ضاعفت أجرها .

وفي النادي التقيت بـ"**أوجستوس ميلاري**" أحد كبار موظفي وزارة الخارجية ومال إلى أذني وقال همسا :

– لقد اكتشفنا أخيرا وثائق خطيرة يجب أن تسلمها فورا إلى الجنرال "**سمطس**" ، ولكن يكاد يكون من المستحيل أن نفعل هذا خشية أن يتعقب الجواسيس مندوبنا .

ولوح "**أوجستوس ميلاري**" بيده وهو يقول :

– هل صحيح ما بلغني من أنك تنوي أن تسافر قريبا إلى "**جنوب إفريقيا**" ؟ إنك مساهم فيما أعلم في بعض الشركات الكبيرة في "**روديسيا**" .

فأجبت :

– أصبت ، وفي نيتي أن أزور شركاتي بعد شهر تقريبا .

– ألا يمكنك أن تعجل بهذه الزيارة ؟ ألا يمكنك أن تقوم بها هذا الأسبوع بالذات ؟

– أستطيع بالتأكيد ، ولكن ما الذي يدعوني إلى هذا ؟

– إنك بذلك تسدي لبلادك خدمة جليلة .. ويريد الوزير أن يعهد إليك بالوثائق التي ينبغي تسليمها للجنرال "**سمطس**" .. إن الجواسيس لن يرتابوا في أمرك لأنك رجل أعمال لا شأن لك بالسياسة .

فتريثت برهة أتدبر الأمر ، ثم قلت :

– لا بأس .. لقد قبلت .

فقال :

– شكرا لك يا "**بيدلر**" .. إني لن أنسى لك هذه المنة .. غدا سأبعث إليك باللفافة مع رسول خاص ، وعليك أن تسلمها إلى الجنرال "**سمطس**" يدا بيد ، والباخرة "**قصر كيلموردن**" ستبرح الميناء يوم السبت القادم فاحجز لك مقصورة فيها .

وغادرنا النادي معا ، ووقفنا على الإفريز قبل أن نفترق وهو يكرر عبارات الشكر ، ويذكرني بأن أحجز لي مكانا على الباخرة "**قصر كيلموردن**" .

وفي مساء اليوم التالي جاء إلى بيتي رجل يطلب مقابلتي ، وذكر لخادمي أنه موفد إليّ من السيد "**ميلاري**" بوزارة الخارجية وقال لي الزائر :

– لقد أوفدني السيد "**ميلاري**" لأصحبك إلى "**جنوب إفريقيا**" بصفتي سكرتيرا لك .

فقلت :

– لدي سكرتيري الخاص .

– ولكنه متغيب الآن .

– هذا لأنه مصاب بالصفراء .

– وهل أنت على يقين حقا من أنه مريض بالصفراء ؟

إن السيد "**ميلاري**" يتوقع أن يهاجم الجواسيس سكرتيرك ليزيحوه عن الطريق ؛ ولذلك يريد منك أن تصطحبني لأكون بديلا عنه ، ولأتولى في الوقت ذاته السهر عليك .

فقلت في استسلام :

– فليكن إذن .

– ولكن أرجو أن تكتم عن كل إنسان أنني سأرافقك . فليكن الأمر سرا بيني وبينك ، كما أرجو أن تعد جواز السفر الخاص بي ، وأن تذكر فيه أنني سكرتيرك .

وحين هم بالانصراف سألته :

– وبهذه المناسبة ما اسمك ؟

فأجاب :

– أظن أن "**هاري رايبورن**" يمكن أن يكون اسما مناسبا لائقا .

- 7 -

("آن بيدنجفيلد" تتابع سرد قصتها)

ليس من الغريب أن يصاب المرء بدوار البحر ، فأسرعت إلى مقصورتي ولبثت فيها ثلاثة أيام طريحة الفراش ، وقد نسيت المهمة التي سافرت من أجلها . وفي اليوم الرابع لملازمتي الفراش في مقصورتي جاءت إليّ الوصيفة تحثني على أن أصعد إلى السطح لأستمتع بالهواء الطلق ، فاستجبت إلى نصحها ، وتدثرت بأغطية ثقيلة ، وتهالكت فوق أحد مقاعد البحر ، وأنا واهنة ضعيفة بادية الإعياء .

وأقبل عليّ أحد الركاب يحييني وقال :

– لو أنك تطلعت إلى وجهك في المرآة لرثيت لنفسك ، فإنك مصفرة الوجه في غاية من الضعف .

فقلت :

– هذا صحيح فإني أشعر بأني متعبة جدا .

فاستطرد :

– غدا ترسو الباخرة في الخليج ، وسوف أصحبك في القارب إلى الشاطئ .

ولبث معي بضع دقائق يحاول أن يسري عني بالحديث ، ثم مضى منصرفا ورحمني من ثرثرته .

وأخذت أتطلع إلى المسافرين واسترعت بصري سيدة في نحو الثلاثين من عمرها ، وفي تصفيف شعرها لمسة من ذوق "**باريس**" ، وكان في خطوها الثابت ما يوحي بأنها تعتقد أنها ربة السفينة ومالكتها .

وتمنيت لو أنني تعرفت إليها لأبادلها الحديث .

وعند ظهر اليوم التالي ألقت الباخرة مراسيها في خليج "**ماديرا**" ، وكنت لا أزال أحس بالإعياء ، فاكتفيت بالتطلع إلى الشاطئ .

ونزلت الحسناء المتعالية إلى الشاطئ ، وحين رجعت كان في صحبتها رجل طويل القامة أسود الشعر ملوح البشرة ذو خطو عسكري ، وكان قد سبق لي أن لمحته في الصباح الباكر يتمشى على سطح المركب .

وحين حملت إليّ وصيفة الباخرة بطانية إضافية عندما اشتدت برودة الجو سألتها عمن تكون هذه الحسناء المتعالية الأنيقة .

وأجابتني :

– إنها إحدى سيدات المجتمع الشهيرات . . السيدة "**كلارنس بلير**" ، ولا شك في أنك رأيت صورها كثيرا في الصحف وقرأت عنها .

وكانت السيدة "**بلير**" معروفة بأنها من أكثر النساء أناقة ، وأنها إحدى نجمات المجتمع ، ولاحظت أن جميع الرجال في السفينة يحومون حولها ، ويحاولون أن يتقربوا إليها ، ولكنها كانت تصدهم في لطف ورقة .

وفوجئت صباح اليوم التالي بالسيدة "**بلير**" تتوقف عند مقعدي وتسألني عن

صحتي راجية أن أكون قد أصبحت أحسن حالا ، فشكرتها على تلطفها ومجاملتها .

وقالت السيدة "**بلير**" وهي تجلس على كرسي بجانبي :

– إن الهواء في أغلب مقصورات السفن فاسد ، فهل مقصورتك داخلية أم تشرف على الماء ؟

فلما أجبتها بأنها مقصورة داخلية قالت :

– يا لك من مسكينة ! ولم لا تبدلين بها غيرها ؟ لقد غادر السفينة كثير من الركاب في "**ماديرا**" ، فخلت مقصورات كثيرة .. تحدثي إلى المراقب ونحن إلى مائدة الغداء فينقلك إلى مقصورة أخرى .. إنه شاب لطيف وقد نقلني إلى مقصورة جميلة عندما أفضيت إليه برغبتي .

ثم دست يدها تحت ذراعي وهي تقول :

– هيا تحاملي على نفسك واستندي إلى ذراعي لنتمشى قليلا ..

ولحق بنا زميلها الكولونيل "**ريس**" بعد لحظات قائلا :

– إن قمة جبل "**تينيريف**" تتراءى من الناحية الأخرى من السفينة ، فيحسن بنا أن نلتقط لها صورة على سبيل التذكار .

وكانت قمة الجبل مغطاة بالثلوج فأسرعت السيدة "**بلير**" إلى مقصورتها لتاتي بآلة التصوير .

وعادت بها خلال لحظات ، وهمت بان تلتقط بعض الصور للجبل ، ولكنها ما لبثت أن غمغمت :

– وا أسفاه ! . لقد فرغ الفيلم ..

فقال الكولونيل يمازحها :

– هكذا الطفل دائما : لا يعرف كيف يستفيد من اللعبة التي بين يديه .

فضحكت السيدة "**بلير**" وقالت :

– ولكن الطفل مازال يحتفظ بفيلم آخر احتياطي .

واخرجت فيلما جديدا من جيب سترتها ، ولكن هزة فجائية من المركب أدت إلى اختلال توازنها فتشبثت بسياج السفينة ، وانفلت الفيلم من بين أصابعها فطار عبر السياج .

وتساءلت السيدة "**بلير**" :

– ترى هل سقط في البحر أم استقر في الطابق السفلي .

وأجابها الكولونيل "**ريس**" :

– أغلب الظن أنه وقع في الماء .

وفي هذه اللحظة دوى نفير الطعام يدعو الركاب إلى تناول الفطور ، فهبطوا جميعا إلى قاعة المائدة .

وطلبت من المراقب أن ينقلني إلى مقصورة أخرى تشرف على البحر بدلا من تلك المقصورة الداخلية الخانقة التي أشغلها ، فوعد بتلبية رغبتي .

وأثار انتباهي بين الجالسين إلى الموائد رجل لم ألمحه من قبل ، كان طويل القامة أسمر الوجه ، له سحنة ترتسم عليها معالم القسوة والشر والخشونة .

وكان مراقب السفينة يشاركني مائدتي فاستفسرته عن الرجل فقال :

– إنه سكرتير السيد "**أوستاس بيدلر**" ، وكان قد لزم مقصورته منذ بداية الرحلة مصابا بدوار البحر ، وهو يدعى "**باجيت**" . وللسيد "**أوستاس**" سكرتير ثان ، ولكنه لم يظهر حتى هذه اللحظة إذ أنهكه الدوار فلاذ بغرفته .

– إذن فالسيد "**أوستاس بيدلر**" من بين ركاب هذه الباخرة .. إنها مصادفة عجيبة، ولكنها رائعة سوف تتيح لي مقابلة صاحب البيت الذي خنقت فيه الحسناء الأجنبية .

واستطرد المراقب :

– والسيد "**أوستاس**" هو ذلك البدين الجالس إلى المائدة بجانب الربان .

وتأملت وجه السكرتير "**باجيت**" ، وازددت مقتا له .. كان له وجه شاحب ، ورأس منبعج ، ومعالم سحنته تثير التقزز لما فيها من سمات الشر .

وما إن غادر مائدته حتى كنت بعقبه ، وسمعته يقول للسيد "**أوستاس**" :

– سأطلب منهم أن يغيروا المقصورة في الحال بأخرى أكثر اتساعا ، أو أن يعطونا مقصورة إضافية ، فإن العمل مستحيل في مقصورتنا والحقائب مكدسة فيها بهذا الشكل .

ثم تابعت طريقي فلم أتبين ما دار بينهما من حديث بعد ذلك .

ووجدت الوصيف المكلف بمقصورتي منهمكا في نقل حاجاتي ، فابتدرني بقوله :

– إن مقصورتك الجديدة التي ستنتقلين إليها رائعة .. المقصورة رقم 13 .

– رقم 13 ! . يا إلهي ! .. إنني أتشاءم من هذا الرقم .. ألا توجد مقصورة أخرى خالية ؟

ففكر الوصيف هنيهة ثم قال :

– نعم .. المقصورة رقم 17 .. لقد خلت هذا الصباح ولكنها خصصت لشخص آخر ، غير أن متاعه لم ينقل إليها بعد ، وما أحسب أنه سيرفض أن ينزل لك عنها .

وأسرع الوصيف إلى المراقب يستأذنه في نقل متاعي إلى المقصورة رقم 17 ، وما لبث أن عاد متهللا وقد أحرز الموافقة ، وقادني من فوري إلى مقصورتي الجديدة .

وفي هذه اللحظة ظهر ببابي ذو السحنة المتوحشة ، وأعني به "**باجيت**" سكرتير السيد "**أوستاس**" ، وقال :

– ولكن معذرة يا آنسة .. إن هذه المقصورة محجوزة للسيد "**أوستاس بيدلر**" .

فأجابه الوصيف :

– لقد حجزت لكم رقم 13 بدلا منها وهي أوسع وأرحب .

– ولكن رقم 17 هي المحجوزة باسمنا ، وأنا لا أريد سواها .

وارتفع صوت جديد يقول :

– عفوا أيها السادة .. إن رقم 17 هي مقصورتي .

وكان القادم الجديد هو قس شاطرني الطعام ذات مرة وصدع رأسي بحديثه الممل

المتكرر عن ضرورة نشر المسيحية بين الإفريقيين السود المساكين .

ورد عليه "**باجيت**" قائلا :

– رقم 17 محجوزة للسيد "**أوستاس بيدلر**" .

وقال الوصيف يخاطب القس :

– إنك يا سيدي ستنزل في رقم 28 .

– إني مصر على رقم 17 فقد وعدت بأن تحجزلي .

وهكذا كنا ثلاثة نتنازع على المقصورة رقم 17 : أنا ، و"**باجيت**" سكرتير السيد "**أوستاس بيدلر**" ، ثم القس "**شيستر**" .

وأخذنا نتجادل واشتد بيننا النقاش وعلت أصواتنا ، فما كان مني إلا أن انسحبت فجأة ، وأسرعت إلى المراقب . وبذلك الصوت النسائي الرقيق الذي ينبض إغراء قلت له :

– إنك وعدتني برقم 17 ، ولن تخذلني بالتأكيد .

ولم يخذلني الرجل بالتأكيد ، وكيف يفعل وقد كانت نظراتي إليه تفيض أنوثة وإغراء .

وفي المساء ذهبت إلى مقصورتي الجديدة رقم 17 فوجدت الوصيف ينتظرني ببابها ووجهه متجهم ، وابتدرني :

– إن رائحة كريهة جدا تفوح من مقصورتك ، ولا أدري كيف حدث هذا ياسيدتي .

وبالفعل كانت الرائحة النتنة لا تحتمل ولا تطاق ، وبحكم عملي كممرضة في أثناء الحرب أدركت على الفور أن هذه رائحة مادة "**الحلتيت**" – فمن يكون ذلك الذي دس "**الحلتيت**" في غرفتي حتى يحملني على التخلي عنها ؟

لا شك في أنه واحد من الاثنين اللذين نازعاني عليها : "**باجيت**" أو القس "**شيستر**" ..

فما السر في هذا التشبث بالمقصورة رقم 17 ؟

وفجاة برز الرقم 17 في ذهني وأثار الكثير من الاحتمالات ..

المقصورةرقمها 17 والباخرة أبحرت يوم 17، ثم القصاصة التي وقعت من الطبيب المزعوم ومسطور عليها الرقم نفسه أي 1.22.17 مع اسم الباخرة "**قصر كيلموردن**"، وغدا هو يوم 22 من الشهر الأول أي يناير (كانون الثاني).

فهل المقصود برقم 17 هنا هو المقصورة رقم 17 ؟

لابد أن لهذه المقصورة سرا خفيا ، فما عسى أن يكون هذا السر ؟

- 8 -

في تلك الليلة أويت إلى فراشي مبكرة مدعية أنني مصابة بصداع شديد ، ولكني لم أسلم نفسي إلى النوم . بل رقدت في سريري يقظة متنبهة أترقب ما سوف يحدث ، فغدا هو يوم 22 المسطور على قصاصة الورق .

وأرسلت الساعة دقاتها .. إنها الواحدة بعد منتصف الليل .. وخفق قلبي بشدة.

ولكن مهلا .. ما هذا ؟ وقع خطوات سريعة خفيفة تركض في الممر أمام مقصورتي .

ثم فجاة دفع باب مقصورتي في عنف ، واقتحم المكان رجل كاد يسقط على وجهه ، ورد الباب وراءه وهتف بي :

– انقذيني .. أتوسل إليك .. إنهم بعقبي .

قفزت من الفراش ، وسحبت حقيبتي الضخمة من تحت الحوض ، وأشرت إليه بأن يتوارى تحته ، ودفعت الحقيبة إلى الوراء ، ورفعت غطاءها حتى تحجب جسمه عن النظر ، ثم نفشت شعري ، وملت إلى الحقيبة وتناولت منها قطعة من الصابون .

فلو أن أحدا فتح الباب الآن ورآني منفوشة الشعر والصابونة في يدي لايقن أنني ساغسل شعري . ولا ستبعد – وهذه حالتي – أنني أخفي رجلا في غرفتي .

وقرع الباب وفتح ، دون أن ينتظر الطارق إذنا ، ورآني أمام الحوض أغسل شعري

والصابونة في يدي .

وحين أدرت رأسي رأيت إحدى وصيفات الباخرة –وصيفة لم أرها من قبل قالت في احترام :

– معذرة يا سيدتي .. لقد خيل إلي أنك كنت تنادين .

فاجبت :

– كلا .. لم أكن أنادي .. لقد شعرت بصداع حاد فرأيت أن أغسل رأسي .

فقالت :

– لقد أفرط أحد الركاب في الشراب وخشينا أن يقتحم مقصورات السيدات فيزعجهن .

فقلت :

– هذا أمر مزعج .

– إذا اقتحم غرفتك فبادري بقرع الجرس .

وأغلقت الباب وراءها ، وسحبت الحقيبة ، وأهبت بالرجل أن يخرج ، ولكنه لم يلب النداء . وناديته مرة أخرى فلم يجب ، وهززته فلم يتحرك .

لا شك في أنه أفرط بالفعل في الشراب ، وغرق في النوم. وفجاة رأت عيني بقعة حمراء على أرض المكان .

واستجمعت كل قوتي وجررت الرجل إلى وسط المقصورة ، وعرفت أنه لم يكن ميتا ، وإنما كان مغمى عليه ، وتبينت على الفور السبب في إغمائه .

كان هناك جرح صغير غائر تحت كتفه اليسرى .

ونزعت سترته ، ومضيت أغسل الجرح بالماء البارد ، فتحرك وانتبه من إغمائه ، ثم تحامل على نفسه ونهض واقفا ، فقد كان قويا في عنفوان شبابه..

وقال لي :

– شكرا لك .. إني لا أريد شيئا آخر .

فقلت :

– ولكن يجب أن أضمد جرحك .

فأجاب :

– بل يجب أن أنصرف على الفور .

ومشى إلى الباب ، ولكنه ما لبث أن ترنح وكاد يسقط أرضا ، فتلقيته بين ذراعي وأرقدته على الأريكة ، ومضيت أضمد الجرح بيد مدربة حاذقة ، وحين فرغت من عملي كان قد استعاد حيويته ونشاطه .

وقلت له :

– والآن حدثني بما جرى .

فأجاب :

– يؤسفني أنني لن أستطيع أن أشبع فضولك .

ونهض واقفا واتجه إلى الباب واستقرت يده على المقبض .

وقلت له متحدية :

– كان يجب على الأقل أن تشكرني على أنني أنقذت حياتك .

فتأملني برهة ثم قال في لهجة شرسة :

– إنني لن أشكرك ، ولكني لن أنكر فضلك علي ، وفي يوم ما سأوفيك دينك .

ثم فتح الباب وأولاني ظهره ، وما لبث أن غاب عن عيني وطوته ظلمات الممشى .

- 9 -

حين صعدت إلى سطح الباخرة في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي أهلت علي السيدة "بلير" تحييني بقولها :

– كيف حالك اليوم ؟

وأردفت السيدة "بلير" :

– يا لك من فتاة مسكينة لطيفة ! والآن هيا حدثيني عن نفسك أيتها النورية

الحسناء ... ما الذي يدعوك إلى زيارة "جنوب إفريقيا" ؟

وحدثتها عن أبي ، وكيف كان من كبار العلماء ..

– إذن فأنت ابنة "شارل بيدنجفيلد" ذائع الصيت ؟

ثم قالت :

– ولكن ما بالك متعبة اليوم .. ؟ ألم تنامي جيدا .. ؟

فأومأت بالإيجاب . فأردفت :

– أنا أيضا لم أنم جيدا ، فقد أيقظني من نومي في منتصف الليل وصيف أحمق ليعيد إلي الفيلم الذي طار من يدي بالأمس عندما هممت بأن ألتقط صورة لقمة الجبل . تصوري أن هذا الوصيف الأحمق أنفذ يده من فجوة أنبوبة التكييف وأسقط الفيلم فوقع فوق وجهي فصرخت فزعا وأنا أحسبه فأرا أراد أن ينقض علي!

ورأيت الكولونيل "ريس" مقبلا علينا فقلت :

– ها هو ذا رجلك قد جاء .

فقالت :

– إنه ليس رجلي ، بل هو مجرد صديق .

فنهضت واقفة وأنا أقول :

– لحظة واحدة ريثما آلف شعري بوشاح .

ومضيت إلى مقصورتي لأعود بالوشاح . على أنني ما كدت أفتح الدرج حتى أيقنت أن يدا عبثت بحاجاتي ، وما إن ألقيت نظرة إلى الأدراج الأخرى حتى أدركت أن اليد الخفية المجهولة امتدت إليها أيضا .

ترى من الذي فتش مقصورتي .؟ وعم كانوا يبحثون ؟

ثم من يكون هذا الرجل الذي اقتحم مقصورتي في جوف الليل مصابا في كتفه .. ؟

إنني لم ألتق به قط منذ أن ركبت الباخرة ، فأين كان مختبئا ..؟ وهل هو أحد موظفي السفينة أم أنه واحد من الركاب .. ؟ ولماذا هاجموه وطعنوه .؟

وجلست على حافة الفراش ، ومضيت أحصي في ذهني من يمكن أن يكونوا محل شك واشتباه .

أولا : السيد "**أوستاس بيدلر**" ، هو صاحب "**ڤيللا الطاحونة**" التي وقعت فيها جريمة القتل .

ثانيا : السيد "**باجيت**" سكرتير السيد "**أوستاس**" ذو السحنة الشريرة ، فإن إصراره العجيب على النزول في المقصورة رقم 17 يدعو إلى الاشتباه .

ثالثا : القس المحترم "**إدوارد شيستر**" ، فهو أيضا كان مصرا على النزول في الغرفة رقم 17 .

ورأيت أن أبادر بالتحري عن هؤلاء الثلاثة والتحدث إليهم ، علني أكشف خبيئة طواياهم .

ورأيت القس المحترم مستندا إلى السياج يطل على البحر ويتناول قدحا من الشاي .

وأقبلت إليه أقول :

– أرجو أن تغفر لي تشبثي بالمقصورة رقم 17 .

فأجاب في فتور :

– إن المسيحي الصادق الإيمان لا ينقم على أحد ولا يمكن أن يحمل له ضغنا ، وكل ما هنالك أن المراقب وعدني بهذه المقصورة .

فقلت :

– إن مراقبي السفن قوم غارقون في العمل ، وكثيرا ما تختلط عليهم الأمور فينسون وعودهم .

ولما لم يجب أردفت :

– أتلك أول رحلة لك إلى "**جنوب إفريقيا**" ..؟

فقال :

– نعم ، وإن كنت قد أمضيت العامين الماضيين في "**شرق إفريقيا**" وسط القبائل

المتوحشة .

وفجأة روادتني بادرة من الشك : إذا كان القس المحترم قد قضى سنتين في "**شرق إفريقيا**" فكيف لم تلوح الشمس بشرته ..؟ ذاك شيء يثير الشك ... أتراه قسا حقيقيا ، أم أنه مدع يمثل دور القس ..؟

وبينما أنا أتدبر هذه الخواطر رأيت السيد "**أوستاس بيدلر**" قادما ، وحين حاذى القس انحنى على الأرض والتقط قصاصة ناولها إلى الأب "**شيستر**" قائلا :

– يبدو أن هذه الورقة سقطت منك .

ثم تابع طريقه دون أن يفطن إلى ما عرا القس من اضطراب ، وإلى أنه كور الورقة في انفعال ، فأي سر كانت تطويه هذه الرقعة من الورق ؟ لاشك أنه اعتقد أن السيد "**أوستاس**" استطاع وهو يقدمها إليه أن يقرأ ما هو مسطور عليها ولذلك شحب وجهه واضطرب .

والتفت إلي القس يقول لكي ينفي شكوكي :

– إنها مسودة عظة كنت أكتبها .

وكان واضحا أنه يكذب ، وأن كلماته لم تخدعني .

ثم استأذن مني وانسحب مسرعا .

وبعد أن فرغت من تناول الغداء مضيت إلى قاعة الاستقبال فوجدت السيدة "**بلير**" تتناول قهوتها ، وفي رفقتها الكولونيل "**ريس**" والسيد "**أوستاس بيدلر**" وسكرتيره "**باجيت**" ، فانضممت إليهم ، وكانوا عندئذ يتحدثون عن "**إيطاليا**" وما بها من تماثيل وتحف رائعة .

وقال "**أوستاس بيدلر**" موجها الحديث إلى سكرتيره :

– وما رأيك أنت في الإيطاليين يا "**باجيت**" فإنك عائد لتوك من "**فلورنسا**" ..؟

كان سؤالا عاديا ، ولكن ما إن سمعه "**باجيت**" حتى بدا عليه الارتباك وتضرج وجهه احمرارا ، وغمغم ببعض كلمات غامضة ، ثم نهض على الفور واستأذن

منسحبا .

وقال السيد "**أوستاس**" ضاحكا :

– ما أعجب هذا ..! كلما اشرت إلى "**فلورنسا**" في حديثي مع سكرتيري ارتبك واضطرب ، حتى ليخيل إلي انه لابد أن يكون قد اقترف جريمة قتل في أثناء عطلته التي أمضاها هناك .

فقالت السيدة "**بلير**" :

– أرجو الا يغضبك يا سيد "**أوستاس**" ان اقول:« إن له سحنة شريرة كرجال العصابات » .

وتساءل الكولونيل "**ريس**" :

– هل أمضى في خدمتك وقتا طويلا ..؟

– ثماني سنوات وربما أكثر .. ومع ذلك فإن لك ان تطمئني يا سيدة "**بلير**" ، فالقاتل يحاول دائما أن يكون لطيفا ... اتذكرين المجرم الخطر "**كريبين**" ..؟ إنه كما يقولون: « كان من الطف الناس وأرقهم حاشية » .

وسمعنا قرقعة خلفنا ، وحين التفتنا وجدنا أن فنجان القهوة قد وقع من يد القس "**شيستر**" وتحطم .

وساءلت نفسي : "لم اضطرب القس "**شيستر**" ووقع الفنجان من يده عند سماعه اسم المجرم "**كريبين**" يتردد في حديثنا ..؟ أيكون هو نفسه "**كريبين**" متنكرا في زي القسيس ؟"

وقالت السيدة "**بلير**" :

– أعتقد أن رجال الشرطة قبضوا عليه وهو مسافر على إحدى البواخر ، ولكنه استطاع أن يهرب منهم .

وتفرق شملنا حين فرغنا من تناول القهوة ، ولحق بي الكولونيل "**ريس**" إلى سطح الباخرة وسألني :

– لم تتهربين مني يا آنسة "**بيدنجفيلد**" لقد بحثت عنك ليلة الأمس دون جدوى

لأراقصك .

– لقد أويت إلى فراشي مبكرة إذ كنت متعبة .

– والليلة ..؟ أتنوين أن تنامي مبكرة ..؟

– بل يسعدني أن أراقصك .

ولست أنكر أنني كنت أشعر بشيء من الميل نحو الكولونيل "**ريس**" .

وفي ذلك المساء راقصته عدة مرات ، وفي نهاية السهرة استرخينا على كراسي البحر ، وأخذنا نتسامر .

وقال لي في معرض الحديث :

– أتعرفين يا آنسة "**بيدنجفيلد**" أني أعتقد أنني سبق أن التقيت بأبيك ؟ لقد كان عالما عظيما ...

ثم أردف :

– لقد درست أنا نفسي فيما مضى علم الأجناس عندما كنت في فرقة "**دوررووني**" ....

وأفاض في الحديث عن معلوماته الفنية ، وكان دون شك واسع الاطلاع ، بيد أنه ارتكب غلطة جسيمة ، فقد ذكر أن عصر "**موستيريا**" كان تاليا لعصر "**أورناسيا**" ، بينما العكس هو الصحيح ... وهي غلطة لا تصدر ممن يعرف بديهيات علم الأجناس .

وعندما أويت إلى فراشي دارت بخلدي فكرة طارئة ..

لماذا أطال وأسهب في الحديث عن علم الأجناس ، وهو موضوع لا يلائم جلستنا الشاعرية ..؟ أتراه كان يريد أن يختبرني ..؟ أتراه كان يعتقد أنني امرأة مدعية كاذبة أنتحل اسما غير اسمي ، وأنني لست "**آن بيدنجفيلد**" ابنة العالم الشهير ، فطرق هذا الموضوع ليتأكد من حقيقة أمري ..؟

ولكن لماذا ..؟ ما الذي يعنيه من أمري ..؟

ولماذا ارتاب في شأني ..؟

- 10 -

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

لقد قمت بالكثير من الرحلات البحرية ، حتى ألفت اهتزاز السفن وارتجاجها أما سكرتيري "**باجيت**" فما كاد يحط قدميه في المركب حتى أصيب بدوار البحر ، فلزم مقصورته ، أما سكرتيري الثاني فلم أره مطلقا إذ يبدو أنه هو الآخر أصيب بالدوار فلم يبرح مقصورته قط ، فأراحني من رؤية سحنته وهو الذي فرض عليّ فرضا ، وهكذا كنت أقضي وقتي مع السيدة "**بلير**" وصاحبها الكولونيل "**ريس**".

وبعد أن غادرنا "**ماديرا**" زايل "**جاي باجيت**" مقصورته وأقبل يلح علي أن نشرع في العمل وأن أواصل إملاءه مذكراتي فقلت له :

– وما الذي يدعوني إلى أن أرهق نفسي بالعمل الآن فلا أستمتع بهذه الرحلة البحرية الطريفة .

وجاءني في اليوم التالي يقول :

– إن المقصورة مختنقة بالحقائب ، وإننا في حاجة إلى مقصورة أوسع .

أخذ يلح في الرجاء ، فلم أر مناصا من أن أقره على رأيه لأتخلص منه ، فقال: إن المقصورة رقم 17 خالية فكلفته بأن يطلب من الربان أن يحجزها لنا.

وفي الصباح التالي أقبل عليّ متجهم الوجه وروى لي قصة خرجت منها بأنه لم يفز بالمقصورة رقم 17 لأن فتاة تدعى الآنسة "**بيدنجفيلد**" وقسا يدعى الأب "**شيستر**" زاحماه عليها في تشبث وعناد ، وكان أن ظفرت بها الفتاة .

فقلت :

– لا أهمية للأمر ما دمت قد حصلت على مقصورة أخرى .

فقال :

– ولكنك طلبت مني أن أحجز باسمك المقصورة رقم 17 .

– إن الأمر يستوي عندي ، فكل المقصورات سواء .

فقال :

– ولكن هناك شيئا غامضا يتعلق بالمقصورة رقم 17 .. لقد ظفرت بها الآنسة "**بيدنجفيلد**" ، ولكني رأيت الأب "**شيستر**" خارجا منها هذا الصباح تبدو عليه علامات الاضطراب والحذر كأنما دخل إليها خلسة .

فقلت له غاضبا :

– لا تنس أن "**شيستر**" رجل دين ، وأن الآنسة "**بيدنجفيلد**" من أشرف المسافرات وأطهرهن .

ولكي أغيظ "**باجيت**" استطردت أقول :

– عليك أن تدعو الآنسة "**بيدنجفيلد**" إلى تناول العشاء غدا على مائدتي ، فإني أحب أن أراقصها في الحفل التنكري الذي سيقام في المساء ، أما أنا فسأتولى بنفسي توجيه الدعوة إلى السيدة "**بلير**" صاحبة أجمل ساقين في هذه الباخرة .

فقال "**باجيت**" معترضا :

– ولكنني أعرف أن الكولونيل "**ريس**" سبقك فدعاها إلى مائدته .

فقلت :

– ما الذي تعرفه عن الكولونيل "**ريس**" ؟

فأجاب :

– إنهم يقولون: «إنه يعمل في المخابرات ، كما أنه من أشهر الصيادين في العالم».

فتنهدت في استخفاف وقلت :

– ما أعجب تصرفات حكومتنا يا "**باجيت**" ! .. يعهدون إلى رجل عادي بوثائق سرية خطرة في حين أن لهم على المركب نفسه أحد رجال مخابراتهم .

فمال إلى أذني وقال هامسا :

– هناك أشياء غريبة شاذة تجري هنا يا سيد "**أوستاس**" هاأنذا قبيل سفري مباشرة أصاب بنزلة كبدية ، ولكن الحقيقة أن الأمر لم يكن كذلك .

– ماذا تعني يا "**باجيت**" ؟

– أعني أن أحدهم دس لي سما لاتخلف عن الرحلة .

– هل تحدثت في هذا إلى زميلك "**رايبورن**" السكرتير الثاني ؟

– نعم ، وهو يقرني على رأيي .

– وبهذه المناسبة أين هو ؟ فإني لم أره قط .

– إنه يلازم مقصورته مدعيا أنه مريض ، ولكنني واثق بأن هذا الادعاء خدعة منه حتى يتسنى له أن يسهر على حمايتك ، فقد يحاول بعضهم أن يغتالك .

فتطلعت إليه في دهشة، فقال في اقتضاب :

– نعم .. إنك مستهدف لخطر الاغتيال يا سيد "**أوستاس**" .

ثم أولاني ظهره وانصرف دون أن يضيف كلمة أخرى .

- 11 -

كانت سهرة رائعة ممتعة .

لم أجد في مخازن الباخرة حلة تنكرية تلائم جسمي السمين إلا جلد الدب ، فارتديته على كره مني ، ولكني ظفرت بالجائزة الأولى عن أجمل الثياب التنكرية للرجال ،. وانتقت الآنسة "**بيدنجفيلد**" ثوب غجرية مطرزا بالأشرطة ذات الألوان الزاهية ، أما السيدة "**بلير**" والكولونيل "**ريس**" فظلا في ثيابهما العادية ورفضا أن يتنكرا .

ورقصت أكثر من مرة مع الآنسة "**بيدنجفيلد**" والسيدة "**بلير**" ، ثم جلسنا نتناول العشاء ، واغرقت المائدة بالشراب ، وأفرط الكولونيل "**ريس**" في الشراب ، وانطلق لسانه ، وأخذ يداعبني قائلا :

– لم لا تدوّن مذكراتك يا سيد "**أوستاس**" ؟ لو أنك فعلت لعرف الناس ما يجهلون عن مغامراتك .

فقلت :

– لو أنني كتبت مذكراتي لاقتصرت فيها على أن أدوّن فضائح غيري .

وبعينين ساذجتين قالت الآنسة "**بيدنجفيلد**" :

– لا في شك أن حياتك مليئة بالمغامرات الطريفة يا كولونيل "**ريس**" ؟

وانطلق لسانه يروي لها مغامراته في صيد الأسود في "**روديسيا**" ، وكان أسلوبه في سرد قصصه شائقا فتن الحاضرين جميعا ، وخاصة النساء .

وتساءلت السيدة "**بلير**" :

– ولكن أليس في "**روديسيا**" سوى الأسود ؟

فأسرعت أجيب :

– بل فيها الماس ... شركة "**دي بيرس**" الشهيرة .

وهتفت السيدة "**بلير**" والآنسة "**بيدنجفيلد**" في صوت واحد :

– الماس ! .. آه .. ما أجمل الماس ! ..

ثم بدأت الأسئلة تدور حول الماس .. ولكن الأسئلة لم تكن توجه إليّ ، وإنما كانت تنهال على الكولونيل "**ريس**" إذ أصبح دوني بهجة السهرة ومحورها .

– إنك بالتأكيد زرت "**كمبرلي**" يا كولونيل ؟ إنك بالتأكيد رأيت مناجم الماس؟ هل حقيقة أنهم يحبسون العمال الإفريقيين ولا يسمحون لهم بزيارة أسرهم خشية أن يخبئوا شيئا من الماس عند أهليهم ؟

أجاب الكولونيل "**ريس**" عن الأسئلة في استفاضة تدل على إحاطته بالموضوع ، فقد كنت أنا أيضا خبيرا بمثل هذه المسائل إذ سبق لي أن زرت "**كمبرلي**" ورأيت مناجم الماس أكثر من مرة ، وعرفت الاحتياطات التي يتخذها "**دي بيرس**" ليتوقى السرقات .

وقالت السيدة "**بلير**" :

– إذن فمن المستحيل أن تتاح لأحد الفرصة لسرقة شيء من الماس ؟

فأجابها :

– لا شيء مستحيل في الدنيا يا سيدة "**بلير**" فالسرقات تقع من حين لآخر، كحادث الخفير الذي أحدث في ساقه جرحا خبأ فيه فصا من الماس .

– والسرقات الكبيرة ؟ ألا تقع أبدا ؟

– لقد وقعت سرقة كبيرة في السنوات الأخيرة .. ولا شك في أنك تذكر هذا الحادث يا سيد "**أوستاس**" فإنك كنت موجودا في "**جنوب إفريقيا**" عند وقوعه .

وأومأت برأسي إيجابا ، فقالت السيدة "**بلير**" في شغف :

– أرجوك أن تروي لنا القصة .. أرجوك ..

وابتسم "**ريس**" وشرع يحكي تفاصيل هذه السرقة :

– حدث قبيل الحرب أن تناثرت شائعات قوية عن وجود الماس في أدغال "**غينيا البريطانية**" ، وأن المنقبين لم يكتشفوا موقع المنجم بعد . وجاء إلى "**كمبرلي**" شابان مغامران هما "**جون إيرديسلي**" وصديقه "**لوكاس**" وادعيا أنهما وفقا إلى اكتشاف طبقات الماس في "**غينيا**" ، وأحضرا معهما مجموعة من قطع الألماس الخام بعضها ذو حجم كبير ، وطلبا فحصها وتقدير قيمتها ونوعها .

وفي الوقت نفسه وقعت سرقة كبيرة في شركة "**دي بيرس**" رغم الاحتياطات الدقيقة !

فعند تصدير الألماس إلى "**إنجلترا**" يوضع في لفافة مختومة تودع في خزانة كبيرة لها مفتاحان يحتفظ بأحدهما واحد من كبار الموظفين ويحتفظ زميل له بالمفتاح الثاني ، أما الشفرة الخاصة بفتح الخزانة فيعرفها موظف ثالث . وهكذا لا تفتح الخزانة إلا في حضور الثلاثة ، ثم تسلم اللفافة إلى البنك لتصديرها إلى "**إنجلترا**" .

واستطرد الكولونيل "**ريس**" يتم روايته :

– وحدث إذ ذاك أن ارتاب البنك في سلامة أختام اللفافة التي سلمت إليه ، وفُضّ فضها ، فإذا هي خالية من الألماس ، وبدلا منه كانت هناك حفنة من السكر ولست أدري كيف أشار إصبع الاتهام إلى "**جون إيرديسلي**" ، ولكن يبدو أن السبب في هذا هو أن سجله في "**إنجلترا**" كان شائنا مخزيا وأنتم تعرفون بالتأكيد

أن "**جون**" ابن السيد "**لورنس إيرديسلي**" المليونير المعروف وصاحب مناجم الذهب ، ولذلك كان أبوه يخف دائما إلى نجدته ودفع ديونه وإنقاذه من الورطات التي يتردى فيها .

وتابع "**ريس**" الحديث قائلا :

– وقبض على "**جون إيرديسلي**" وتبين أن حكاية منجم الماس في "**أمريكا الجنوبية**" قصة ملفقة ، كما وجد في حوزة "**جون**" بعض قطع من الماس "**دي بيرس**" ولكن القضية حفظت ولم تقدم إلى المحاكم إذ تنازل "**دي بيرس**" عن شكواه بعد أن نقده السيد "**لورنس**" نحو ربع مليون جنيه قيمة الألماس الذي سرقه ابنه . وكان هذا الحادث صدمة للأب المسكين هدمت صحته . وحدث بعد ذلك أن تطوع "**جون**" في الحرب ، ومات كالأبطال فمحا العار الذي دنس اسمه ، ومنذ شهر مات الأب السيد "**لورنس**" وترك ثروته الضخمة لأقرب وريث له .. وريث لا يعرفه ولم يقابله في حياته .

وسكت الكولونيل "**ريس**" هنيهة ، ويبدو أن شيئا استرعى بصر الآنسة "**بيدنجفيلد**" ، فقد أدارت رأسها ناحية الباب ، وندت عن صدرها شهقة خفيفة استدرت بدوري وتطلعت إلى حيث كانت تنظر .

وهناك في فجوة الباب رأيت سكرتيري الثاني "**رايبورن**" واقفا يرهف السمع إلى حديث الكولونيل "**ريس**" وتبدو في وجهه سمات الانفعال الشديد فلما رآنا نتطلع إليه استدار وانصرف .

وسألتني الآنسة "**بيدنجفيلد**" :

– أتعرف هذا الرجل ؟

فأجبت :

– إنه "**رايبورن**" سكرتيري ، وكان مصابا بدوار البحر فلم يبرح مقصورته إلا اليوم .

– ومتى التحق بالعمل عندك ؟

– منذ وقت قصير .. قبيل قيامي بهذه الرحلة .

ثم تحولت إلى الكولونيل "**ريس**" أسأله :

– وهل تعرف هذا الوريث الذي آلت إليه ثروة السيد "**إيرديسلي**" الطائلة ؟

فأجاب في هدوء :

– بالتأكيد أعرفه .. فأنا هو ذلك الوريث !

- 12 -

("آن بيدنجفيلد" تتابع سرد قصتها)

حتى هذه اللحظة كنت أحاول وحدي أن أحل اللغز ولكني قررت أن أتخذ لي عونا أفضي إليه بالأمر وأبادله الرأي وكان الكولونيل "**ريس**" أول من خطر بذهني ، ولكني انصرفت عنه ، فهو ذو شخصية قوية مسيطرة ، ولو أني كاشفته لانتزع الأمر من يدي وتولاه بنفسه .

وانبثق اسم السيدة "**بلير**" في ذهني ، فهي امرأة ذكية لطيفة المعشر ، وهي لا تفتأ توليني مودة وعطفا .

ولم أتردد لحظة واحدة .. ضغطت الجرس كي أستدعي الوصيفة الليلية لأستفسر منها عن رقم المقصورة التي تنزل فيها السيدة "**بلير**" . وبعد فترة قرع الباب وجاء وصيف يلبي ندائي معتذرا عن تأخيره قائلا بأنه وحده القائم بالعمل والمكلف بالإشراف على جميع المقصورات .

وسألته عرضا :

– ولكن أين الوصيفة الليلية ؟

فأجاب :

– إن الوصيفات جميعا يفرغن من العمل في تمام العاشرة مساء .

فقلت له في استغراب :

– ولكن كيف هذا وفي الليلة الماضية جاءت الوصيفة إلى غرفتي في الواحدة بعد

منتصف الليل ؟

فهز رأسه في دهشة وقال :

– هذا عجيب .. إن الوصيفات لا يعملن أبدا بعد العاشرة .

ثم انصرف بعد أن ذكر لي أن مقصورة السيدة "**بلير**" هي رقم 71 ، وتركني في حيرة أسائل نفسي عن سر هذه الوصيفة الليلية .. أكانت مدعية انتحلت هذه الصفة لتقتحم غرفتي في جوف الليل بحثا عن الرجل الجريح ؟ أم لعلها كانت رجلا متنكرا في زي امرأة ؟

ومضيت إلى مقصورة السيدة "**بلير**" فاستقبلتني في دهشة بقولها :

– ما الذي جاء بك في مثل هذه الساعة ؟

فأجبت :

– لقد جئت أروي لك قصة حياتي . هذا إذا لم يضجرك أن تستمعي إليّ .

واستويت على الأريكة ومضيت أنفض إليها ما في صدري . فلما فرغت تأملتني برهة ثم قالت :

– يا لك من فتاة عجيبة ! تقتحمين الدنيا وتطوفين بالبلاد ولا مال لديك ؟ ما عساك تفعلين إن وجدت نفسك يوما خاوية الوفاض ؟

فأجابت ضاحكة :

– أبحث عن أي عمل مؤقت ثم أواصل مغامراتي .. وبعد أن ربحت بالأمس جائزة الرقص أصبحت لدي ثروة طائلة .. إن معي الآن أربعين جنيها .

فقالت السيدة "**بلير**" ساخرة :

– صدقت ! إنها في الحق لثروة طائلة .

– إني أحب المغامرة يا سيدة "**بلير**" .

– أرجوك .. يكفي أن تناديني منذ الآن باسمي الأول . "**سوزان**" .. والآن فلنتدارس معا ما سمعت منك .. قلت لي : إنك تعرفت إلى سكرتير السيد "**أوستاس**" على أنه الرجل الجريح الذي اقتحم غرفتك في جوف الليل .. لا أعني

"باجيت" ذا الوجه الشرير ، وإنما أعني الآخر المدعو "رايبورن"

فاومات براسي مؤمنة فاستطردت :

– ولا شك ايضا في ان الوصيفة الليلية كانت وصيفة مزيفة .. فهل لك ان تصفيها لي ؟

فاجبت :

– الحق اني لم افطن إليها تماما ، ولكن وجهها بدا مالوفا لي ..

– الا يمكن ان تكون رجلا متنكرا على هيئة امراة ؟

– هذا محتمل فقد كانت طويلة القامة جدا .

– هذا لا ينطبق على السيد "أوستاس" ولا على سكرتيره "باجيت" .

وتناولت ورقة وجرت عليها بالقلم ترسم وجها ثم بسطته إلي قائلة :

– تاملي هذه الصورة .. أليست هذه هي الوصيفة الليلية ؟

فهتفت في دهشة :

– تماما .. تماما .. لقد كان لها وجه القس المحترم "شيستر" ! ما أذكاك يا "سوزان" ! .. نعم هذه الوصيفة هي القس "شيستر" متنكرا .

فقالت :

– لقد كنت دائما أشك في هذا المخلوق "شيستر" ، فمن عينيه يطل شيطان مريد . أتذكرين كيف اضطرب وافلتت أصابعه قدح القهوة عندما أشرنا في حديثنا بالأمس إلى المجرم الخطر "كريبين" ؟

فقلت :

– كما حاول في عناد ان يظفر بالمقصورة 17 .

فقلت :

– تماما ، فما سر المقصورة 17 ؟ إنني اعتقد ان هذه المقصورة كانت مكانا مضروبا للقاء سري ، فلما ذهب "رايبورن" إلى الموعد المضروب طعنه "شيستر" ، وكان متنكرا في زي الوصيفات حتى لا يثير شكوك السكرتير إذا التقى به . ولكن

مع من كان الموعد ؟ ربما كان مع "شيستر" نفسه ، أو مع "باجيت" مثلا .

فقلت معترضة :

– لا اظن ، فهما كسكرتيرين للسيد "أوستاس" يستطيعان ان يتقابلا بغير حرج عشرات المرات بدون حاجة إلى موعد سري في جوف الليل .

وران علينا الصمت برهة ، وفجاة قالت السيدة "بلير" :

– الا يجوز أن يكون هناك شيء ما مخبأ في المقصورة ؟

– هذا محتمل جدا ، فقد نبش شخص مجهول متاعي بالأمس .

– الا يحتمل أنه كان يسعى وراء رقعة الورق التي سقطت من الطبيب المزعوم؟

– ربما .. ولكن الامر يبدو سخيفا ، فهي لا تتضمن إلا تاريخ يوم معين ، وقد مضى هذا اليوم .

– أيمكنك ان تطلعيني على هذه القصاصة ؟

كانت الرقعة في جيبي فقدمتها إليها ، فمضت تتاملها في اهتمام وقالت :

– ما معنى وجود هذه النقطة بعد الرقم 17؟

وفجاة نهضت ودنت من المصباح وعرضت الورقة لضوئه ثم قالت :

– "آه" .. ليست هذه نقطة وإنما هي عيب أو خدش في نسيج الورقة .

وكانت على حق في هذا ، فقلت :

– إذن يجب ان نقرأ هذه الأرقام على صورة أخرى ، أي 17 بعدها مسافة ، ثم 22 ومسافة ، ثم رقم 1 .

وقالت "سوزان" :

– الا تدركين المعنى الآن ؟ الرقم 1 يدل على الوقت ، أي الواحدة بعد منتصف الليل أي الآن تقريبا، ورقم 17 هو رقم المقصورة، أما التاريخ فهو يوم 22.

وقلت لها :

– الا يجوز ان يكون هناك خطأ مطبعي في رقم المقصورة ؟ لم لا يكون الرقم المقصود هو 71 وليس 17 ؟

وهتفت "**سوزان**" :

– المقصورة 71 ؟ يا إلهي ! إنها مقصورتي .. إنها هذه المقصورة !

فسألتها :

– ولكن هل المقصورة 71 يا "**سوزان**" هي المقصورة الأصلية التي استأجرتها عند بداية الرحلة ؟

– لا ، فقد استبدلت بها هذه المقصورة .

– إذن لمن كانت محجوزة أصلا ؟

– لقد أخبرني مراقب الباخرة أنها كانت محجوزة لامرأة تدعى السيدة "**جراي**" وهو اسم تنكري مستعار للراقصة الروسية الشهيرة السيدة "**نادينا**" التي أحرزت نجاحاً منقطع النظير في "**باريس**" في أثناء الحرب ، وإن لم تظهر قط على مسارح "**لندن**" . وقد حدثني الكولونيل "**ريس**" عنها فقال . إنها كانت عضوا في منظمة إجرامية سرية تقوم بأعمال الجاسوسية والسرقات والاختلاس والتزوير ، ويرأسها رجل غامض يقال إنه إنجليزي الجنسية ، معروف باسم "**الكولونيل**" ، وقد عجزت الشرطة عن اكتشاف شخصيته الحقيقية .

واسترسلت السيدة "**بلير**" :

– نعم .. إن "**نادينا**" هي بطلتنا، إنها المرأة التي يمكن أن تندمج في مثل هذه الألغاز .. لابد أنها كانت على موعد يوم 22 في هذه المقصورة أي المقصورة رقم 71 ، ولكن لماذا تخلفت عن ركوب الباخرة بعد أن حجزت لنفسها مكانا ؟

فأجبت :

– ربما ماتت .. إنني أعتقد أن "**نادينا**" هي المرأة التي قتلت في "**فيللا الطاحونة**" في "**مارلو**" .

وعند هذا تذكرت لفافة الأفلام التي عثرت عليها في الفيللا في قاع الدولاب الذي تحت النافذة . وفي اللحظة نفسها تذكرت أيضا لفافة الأفلام التي ألقيت من أنبوبة تكييف الهواء على صدر السيدة "**بلير**" وهي راقدة في فراشها في جوف

الليل . وهتفت بها :

– أتذكرين لفافة الأفلام ؟ إنك تعتقدين أنها اللفافة التي طارت من يدك عندما اختل توازن الباخرة . ولكن ما يدريك أنها لفافة أخرى مختلفة .

وأسرعت السيدة "**بلير**" إلى حقيبتها وجاءت باللفافة .

وما إن فضضناها حتى تساقطت منها حفنة من الألماس .

- 13 -

حملقت إلى كومة الماس في ذهول وغمغمت :

– "**سوزان**" .. هل أنت واثقة بأن هذه القطع الزجاجية هي الماس حقيقي ؟

فأجابت :

– إني خبيرة بالألماس يا عزيزتي .. ولكن لابد أن لهذه الألماسات قصة وتاريخا

فقلت :

– لعلها القصة التي سمعناها من الكولونيل "**ريس**" ، فلست أشك أنه سردها علينا لهدف معين .

– أتعنين أنه أراد أن يرى أثر قصته على السيد "**أوستاس بيدلر**" ؟

– هذا هو ما خطر لي .

ثم استطردت :

– ولكن من يكون الكولونيل "**ريس**" ؟

فقالت "**سوزان**" :

– المعروف عنه أنه من كبار صيادي الوحوش ، وهو كما ذكر لنا يمت بصلة القرابة إلى السيد "**لورنس إيرديسلي**" ، وقد أصبح وريثه الوحيد كما سمعنا منه ويقال إنه يعمل في المخابرات .

ثم أردفت :

– إن زوجي "**كلارنس**" يعمل في وزارة الخارجية فيمكنني أن أبرق إليه أستفسر

منه عن الكولونيل "**ريس**" .

وقلت :

– إنني أعتقد أنه تعمد أن يروي لنا قصة الألماس الذي سرق من شركة "**دي بيرس**"، فلماذا فعل ذلك ؟ أليس من الجائز أن هذه الألماسات جزء من الألماس المسروق ؟

وران علينا الصمت برهة ، ثم عدت أقول :

– لقد ذكر لنا الكولونيل "**ريس**" أن "**جون إيرديسلي**" – أحد اللصين – مات في الحرب ، فبودي أن أعرف مصير اللص الثاني ، أعني شريكه "**لوكاس**" .

فقالت "**سوزان**" :

– أما أنا فالذي يهمني هو هذه الألماسات ، فهي محور الحركة والجميع يلهثون وراءها . ولا يداخلني شك في أن الرجل ذا السترة الرمادية إنما قتل "**نادينا**" ليستولي على الألماسات .

فقلت في انفعال :

– كلا .. إنه لم يقتلها .

– إذن فمن الذي قتلها ؟

– لا أدري ، ولكن ذا السترة الرمادية بريء .

– ولكنه كما ذكرت لي دخل البيت بعدها بدقائق ، وحين خرج كان بادي الارتباك والاضطراب .

فقلت :

– لأنه وجدها مقتولة بالفعل .

– إذن لا شك في أن القاتل كان لا يزال موجودا في البيت إلا إذا كان قد غادره من باب خلفي .

وتساءلت "**سوزان**" :

– ولكن من يكون الرجل ذو السترة الرمادية ؟ ربما كان هو الطبيب المزيف الذي

فحص جثة الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي في النفق ، ولا شك في أنه استطاع أن يغير تنكره وتبع الحسناء الأجنبية إلى "**فيللا الطاحونة**" حيث كانت على موعد مع "**كارتون**" قتيل النفق .

ويبدو أن "**كارتون**" يخاف هذا الرجل خوفا شديدا ، فما إن رآه على رصيف المحطة حتى استبد به الفزع فاختل توازنه وسقط فوق القضبان المكهربة . وعند ذاك ادعى كذبا أنه طبيب وتظاهر بفحصه واغتنم الفرصة وسرق من جيبه قصاصة الورق ، وفي غمرة إسراعه إلى الفرار وقعت منه القصاصة ، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك ؟

واستطردت "**سوزان**" محاولة أن تستنتج تسلسل الوقائع :

– أعتقد أنه اتصل بعد ذلك بالسيد "**أوستاس بيدلر**" وأقنعه بأن يتخذه سكرتيرا له ، وبذلك يتسنى له الفرار ومغادرة "**إنجلترا**" بطريقة آمنة . ولكن كيف استطاع أن يقنع السيد "**أوستاس**" ؟ ترى هل يعرف من أسراره ما يخضعه به لسلطانه ؟

فقلت :

– وما يدرينا أن "**باجيت**" هو الواقع تحت سيطرته وليس السيد "**أوستاس**" ؟

قالت "**سوزان**" :

– واستطرادا في استنتاجاتي يمكن أن أقول : إن السكرتير "**رايبورن**" هو الرجل ذو السترة الرمادية . وقبل أن تقع منه القصاصة استطاع أن يلقي إليها نظرة خاطفة ، وانخدع في معناها كما انخدعت أنت من قبل ، وظن أن المقصورة رقم 17 هي المقصورة المدونة على رقعة الورق ، فعهد إلى "**باجيت**" بأن يحجزها لنفسه ، وفي الليلة المعهودة أي في ليلة 22 مضى إلى المقصورة في جوف الليل ، وفي الطريق إليها اعترضه شخص مجهول وطعنه في كتفه .

فقلت أتساءل :

– ومن يكون هذا الشخص المجهول ؟

فردت "**سوزان**" :

– القس "شيستر" بالتأكيد .. إن الأمر واضح .. هيا يا "آن" .. ابرقي إلى اللورد "ناسبي" صاحب صحيفة الـ"**ديلي باديجيت**" وأخطريه أنك عثرت على ذي السترة الرمادية .

فاعترضت بقولي :

– ولكنك غفلت عن بعض الأشياء .

– كيف هذا .. ؟ إن أوصاف ذي السترة الرمادية تنطبق على "**رايبورن**" ... الطول نفسه والقامة نفسها ... وبهذه المناسبة ، إنك وصفت رأس الطبيب لـ"**اسكتلنديارد**" ، فما الذي قلته لهم ..؟

– قلت لهم إن رأسه مستطيل .

وكنت في هذا كاذبة ، فقد ذكرت لهم أن رأسه منبعج ويبدو أن ذاكرة "**سوزان**" قوية إذ اعترضت بقولها :

– إني اذكر أنك وصفت لي رأسه بأنه منبعج ..؟

وأصررت على الأكذوبة :

– بل قلت إنه مستطيل .

فتأملتني "**سوزان**" برهة ثم قالت :

– إنك لا تحسنين الكذب يا نوريتي الحسناء ، فهل لك أن تفضي إليّ بالحقيقة..؟

ولذت بالصمت برهة ، ثم قلت :

– لم أكد أرى "**رايبورن**" يقتحم مقصورتي في جوف الليل ولم أكد أفرغ من تضميد جرحه حتى شعرت أنني أحبه . نعم إني هائمة به يا "**سوزان**" .

– ولهذا تكذبين في وصف ذي السترة الرمادية حتى تداري الشبهات عن "**رايبورن**" ..؟

– نعم .. إنني مفتونة به . وفي سبيله لن أتردد في الإقدام على أي شيء ..

– ولكن هذا الرجل قاتل يا "**آن**" فكيف تحبينه ..؟

– بل إنه بريء .. وحتى إذا كان قاتلا فما حيلتي ..؟ إن زمام قلبي ليس في يدي.

- 14 -

في صباح اليوم التالي التقيت بالكولونيل "**ريس**" يتمشى على سطح المركب، فتبادلنا التحية . وقلت له :

– كانت طريفة جدا تلك القصة التي رويتها لنا بالامس .. قصة الالماس المسروق. وبهذه المناسبة ما الذي حدث للشريك الثاني ..؟ إنك قلت إن "**جون إيرديسلي**" مات في ميدان القتال ، فكيف كان مصير "**لوكاس**" ..؟

– لقد تطوع في الحرب ، وذكر اسمه بين المفقودين .

– إذن فمصير "**لوكاس**" مازال مجهولا ، ولعله لايزال على قيد الحياة .

وتحينت فرصة اختليت فيها بالوصيف الليلي وأجزلت له العطاء فقال لي : إنه في أثناء رحلة الباخرة من "**كيب تاون**" إلى "**إنجلترا**" أعطاه أحد المسافرين فيلما وطلب إليه أن يلقيه إلى داخل المقصورة رقم 17 من خلال أنبوبة التكييف ، على أن يكون ذلك في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة 22 كانون الثاني (يناير)، وقال له هذا المسافر الغامض : إن إحدى السيدات هي التي ستكون شاغلة المقصورة في تلك الليلة وأن الفكرة في هذه العملية هي مجرد رهان ومداعبة . وذكر لي الوصيف أن المسافر الذي عهد إليه بهذه المهمة كان يدعى السيد "**كارتون**" ، وأنه لم ينتبه باسم السيدة شاغلة المقصورة .

وعندما وصف لي "**كارتون**" ادركت على الفور أنه الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة .

*****

مرت الأيام الباقية على نهاية الرحلة في هدوء .

وذات مساء كنا جلوسا على سطح المركب نتبادل الحديث ، وأشار السيد

"**أوستاس بيدلر**" إلى فوضى مواعيد القطارات في "**إيطاليا**" ، وعندئذ حدث الشيء المعهود نفسه ، اضطرب سكرتيره "**باجيت**" اضطرابا شديدا كما هو شأنه دائما كلما أشار أحد إلى "**إيطاليا**" و"**فلورنسا**" . وحين نهض السيد "**أوستاس**" ليراقص السيدة "**بلير**" اغتنمت الفرصة وقلت لـ"**باجيت**" :

– لكم أتوق إلى زيارة "**إيطاليا**" فإنها في الحق بلاد جميلة .. ترى هل استمتعت بعطلتك التي قضيتها في "**فلورنسا**" يا سيد "**باجيت**" ..؟

فأجاب :

– بالتأكيد يا آنسة "**بيدنجفيلد**" .. والآن هل تسمحين لي بالانسحاب لأحرر بعض الرسائل ؟

فتشبثت بذراعه وأجلسته وأنا أقول :

– إنك لا تستطيع أن تهرب مني ..! إن ضميرك يؤنبك بشأن رحلة "**فلورنسا**" ، فما الذي فعلته في هذه المدينة ؟

هل وقعت في مشكلة حب ..؟ هيا حدثني .

فجلس مستسلما على كره منه وهو يقول :

– ما الذي تريدين معرفته ..؟

– هل أعجبتك "**فلورنسا**" ..؟ هل شاهدت تمثال "**العذراء**" ولوحات "**رافائيل**" ..؟

– إنها رائعة .. تحفة فنية لا مثيل لها .

–وهل تناولت السمك في المطاعم المشيدة على ضفاف نهر "**أرنو**" ..؟ إنهم يخرجونه من النهر حيا أمام عينيك ويشوونه لك ..

– بالتأكيد .. لقد تعشيت هناك أكثر من مرة .

– وهل تنزهت في نهر "**دومو**" في تلك القوارب الملونة الجميلة ..؟

– مرتين على الأقل .

وهكذا انزلق "**باجيت**" في بسهولة إلى الفخ الذي نصبته له ، فتلك المعالم التي

أشرت إليها غير موجودة في "**فلورنسا**" ، ولكنه أكد ردا على أسئلتي أنه زارها ورآها، وهذا دليل على أنه لم يذهب قط إلى "**فلورنسا**" . فأين كان إذن خلال عطلته.؟ أين كان في الفترة التي جرى فيها هذا اللغز ..؟

بالتأكيد كان في "**إنجلترا**" .

وأقدمت على خطوة جريئة .. قلت له :

– إنه ليخيل إليّ أنني رأيتك من قبل ، ولكن لابد وأنني مخطئة بما أنك كنت في "**فلورنسا**" في ذلك الوقت .

ورماني بنظرة مضطربة وقال :

– ولكن أين تعتقدين أنك رأيتني ..؟

– في "**مارلو**" .. إنك تعرف "**مارلو**" بالتأكيد . إن السيد "**أوستاس**" يملك هناك بيتا .. "**فيللا الطاحونة**" .

وانبعث "**باجيت**" واقفا ، وبادر إلى الانصراف .

وفي تلك الليلة مضيت إلى مقصورة السيدة "**بلير**" ، وأفضيت إليها بما كان بيني وبين "**باجيت**" ، وسألتها :

– هل كان "**باجيت**" في "**إنجلترا**" في أثناء وقوع الجريمة ؟

– نعم .. كان "**باجيت**" في "**إنجلترا**" في أثناء مقتل الأجنبية .

– إني مقتنعة بشيء واحد ، هو أن القاتل رجل وسيم ليست له سحنة "**باجيت**" البشعة الدميمة . ثم استطردت :

– الآن عرفنا حقيقة لا شك فيها .. "**باجيت**" كان في "**إنجلترا**" في أثناء وقوع الجريمة .

– تماما . فعلينا أن نراقب حركاته وسكناته .

– هو وغيره بالتأكيد ممن نشتبه فيهم .. وبهذه المناسبة .. إنك لا تملكين من المال إلا النزر اليسير ، وفي أثناء مراقبتك للمشتبه فيهم ستضطرين إلى النزول في أفخم الفنادق . إننا شركاء في هذا اللغز ، فأنفقي ما تشائين ولا ترددي ، فإني

أضع مالي رهن إشارتك . . ألسنا شركاء ؟

وبان التردد في وجهي فاستطردت "سوزان" :

– سنبدأ أولا بأن تنزلي معي في فندق "نيلسون" على حسابي حتى نلتقي بسهولة ونناقش خططنا .

واضطررت إلى الإذعان فمضت تقول :

– السيد "أوستاس" سينزل في فندق "نيلسون" في "كيب تاون" ثم يذهب بعد ذلك إلى "روديسيا" ، أما القس "شيستر" فسيذهب إلى "دوربان" ، وقد عرض عليّ السيد "أوستاس" أن أصحبه في سيارته الخاصة .

فقلت :

– حسنا . . عليك أنت أن تراقبي السيد "أوستاس" و "باجيت" ، أما أنا فسأتولى مراقبة الأب "شيستر" . ولكن من الذي سيراقب الكولونيل "ريس" . . ؟

– حسنا . . إن "ريس" مسافر إلى "روديسيا" أيضا ؛ لذلك سأقنع السيد "أوستاس" بأن يدعوه إلى ركوب سيارته ، وبذلك يتسنى لي مراقبة المشبوهين الثلاثة .

وانصرفت إلى مقصورتي ، ولكن الأرق استبد بي فصعدت أتمشى على سطح الباخرة ، ثم وقفت عند السياج أتأمل الليل الساجي وهدوء البحر .

ولكن فجأة جاءني نذير خفي بخطر يقترب .

واستدرت سريعا ، ولمحت شبحا ينقض علي ، ويطبق بيده على عنقي ، فأطلقت صرخة مدوية ، بدأت أناضله على غير جدوى ، وهو يدفعني إلى ناحية السياج ليقذف بي من فوقه إلى أفواه الحيتان .

وبدأت أضعف وأتخاذل ، وفجأة سمعت وقع أقدام خفيفة سريعة ، ورأيت شبحا آخر مقبلا إلينا .

وسدد القادم إلى الشبح – الذي كان يحاول أن يخنقني – لكمة عنيفة طرحته أرضا ، ثم تلقاني بين ذراعيه وهو يقول في صوت يفيض قلقا وانزعاجا :

– هل أنت بخير . . ؟ هل أصابك بسوء . . ؟

وتطلعت إليه ، وعرفته على الفور . . إنه "رجلي" الرجل الذي أحببته – "رايبورن" سكرتير السيد "أوستاس" . وفي اللحظة التي كان "رايبورن" يطمئن فيها علي كان عدوي الخفي قد نهض واقفا وانطلق هاربا . ولم يتردد "رايبورن" لحظة واحدة وإنما طار بعقبه يطارده ورجع إلي "رايبورن" بعد لحظات وهو يقول :

– لقد وجدته مكوما أمام باب مقصورته ، يبدو أنه أغمي عليه من أثر لكمتي .

– ولكن من هو . . ؟ هل عرفته . . ؟

– سنرى الآن . . هيا بنا .

وأخذ بذراعي إلى حيث كان الرجل مكوما على الأرض ، وأشعل عودا من الثقاب ، وشهق دهشة وذهولا .

كان الرجل هو "جاي باجيت" سكرتير السيد "أوستاس" .

والتفت إلي "رايبورن" قائلا :

– إنك لم تدهشي حين عرفت أن مهاجمك هو "باجيت" فهل تبينت وجهه حين انقض عليك . . ؟

– لا ، فقد كان الظلام دامسا ، ولكنني كنت أتوقع الأمر من قبل .

فتطلع إليّ في استغراب وقال :

– هذا عجيب . . ! ترى ما مدى ما تعرفين . . ؟

فأجبت :

– إنني أعرف أشياء كثيرة يا سيد "رايبورن" أم لعله ينبغي أن أقول يا سيد "لوكاس" .

فأمسك بذراعي بعنف آلمني وقال :

– من أين جئت بهذا الاسم . . ؟

فقلت :

– أليس هذا هو اسمك . . ؟ أم لعلك تفضل أن أناديك بـ"الرجل ذي السترة الرمادية" . . ؟

كانت المفاجأة شديدة الوقع عليه .. خلّى عن ذراعي ، وارتد إلى الخلف خطوة أو خطوتين ، ثم قال :

– من عساك تكونين ..؟ أأنت فتاة من البشر أم ساحرة من الجن ..؟

فقلت :

– بل أنا صديقة مخلصة ، أنقذتك من الموت يوما ، ومازلت على استعداد لأن أنقذك .

فاكفهر وجهه وأجاب في خشونة وصلف :

– لا أريد مساعدة من أحد .. لا أريد أن تكون بيني وبين أية امرأة في هذه الدنيا رابطة من أي نوع كان .

واستثارت كلماته غضبي فقلت أتوعده :

– ألا تعلم أنك في قبضة يدي ، وإنني بكلمة واحدة أتفوه بها ألقي بك في غياهب السجون .

فضحك في مرارة وقال :

– بل أنت التي في قبضة يدي . إني أستطيع أن أقتلك الآن .

– إني أعلم أنك لا تريد أن تتورط في جريمة قتل أخرى .

– جريمة قتل أخرى ..؟ ماذا تعنين ..؟

وبدت الدهشة في سمات وجهه فقلت مستطردة :

– أنسيت قتيلة "**فيللا الطاحونة**" ..؟

فارتسمت على وجهه أمارات وحشية وغمغم :

– هذه المرأة ..؟ لكم تمنيت حقا أن أقتلها ..!

وفاضت بمعالم وجهه سمات صارخة من الحقد والكراهية .

ثم تماسك واسترد هدوءه وقال :

– طاب مساؤك يا آنسة "**بيدنجفيلد**" ، وداعا .

فقلت :

– بل إلى اللقاء يا سيد "**لوكاس**" .

فأجاب في خشونة :

– وداعا ، فإننا لن نلتقي أبدا .

– بل سوف نلتقي ... لقد ربط القدر مصيري بمصيرك .

وأولاني ظهره ، وابتعد عني يدق الأرض ساخطا في خطوات حانقة .

- 15 -

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

دخل علي سكرتيري "**باجيت**" بعين متورمة وبدأ يروي قصته لي أنه لمح رجلا يتصرف بطريقة تثير الريبة .

وقال :

– كان الرجل يمشي في حذر وتلصص ، وكان ذلك في منتصف الليل .

فقلت :

– وما الذي أخرجك أنت من فراشك في مثل هذه الساعة ..؟

– كنت منهمكا في تحرير بعض الرسائل الخاصة بك .

وقبل أن آوي إلى فراشي رأيت أن ألقي بنظرة لأطمئن على سلامتك .

واستطرد :

رأيت الرجل قادما من ناحية مقصورتك ، فاستربت فيه بسبب مشيته الحذرة المتلصصة ، ثم انحرف إلى باب قاعة الجلوس ونفذ منه ، فلم أتردد في اقتفاء أثره . وقد تبينت وجهه على الضوء الخافت .. إنه "**رايبورن**" ما في ذلك شك .

فقلت في دهشة :

– "**رايبورن**" ..؟

فقال :

– إني متأكد من هذا ، ولا شك في انه كان على موعد سري مع الكولونيل "**ريس**" .

– موعد في منتصف الليل .. ؟

– ولكنه موعد سري .. ليتلقى الاوامر .. نعم يا سيد "**أوستاس**" هناك شيء غامض يجري في الخفاء وإلا فلماذا هاجمني "**رايبورن**" .. ؟

– وهل انت متاكد انه "**رايبورن**" .. ؟

– إني واثق بهذا ، والدليل على ذلك ان "**رايبورن**" اختفى فور نزولنا إلى البر.

وكان على حق في هذا ، فإننا لم نر وجه الرجل مذ هبطنا إلى البر .

وهكذا اثارتني قصة "**باجيت**" وملأتني غضبا ، فهذا هو سكرتيري "**باجيت**" متورم العينين ، في حين أن سكرتيري الثاني "**رايبورن**" قد اختفى وتوارى كانما انشقت الأرض وابتلعته .

وحدث بعد ذلك شيء خطير .

*****

ذهبت إلى مقابلة رئيس الوزراء لأسلمه اللفافة التي عهد إلي بها "**ميلاري**" ، التي تضم مجموعة من الوثائق الخطيرة .

كان الختم سليما لم يمس ولكننا حين فضضنا اللفافة وجدناها لا تضم إلا مجموعة من الاوراق البيضاء .

ولعنت نفسي ولعنت "**ميلاري**" على ان اوكل إلي هذه المهمة السرية اللعينة .

وبدلا من أن يهون على "**باجيت**" الامر قال لي :

– ما أدراك يا سيد "**أوستاس**" ان "**رايبورن**" محتال مزيف وان وزارة الخارجية لم توفده إليك ليصحبك كسكرتير إضافي .. ؟ إنه زعم لديك انه موفد من

قبل "**ميلاري**" ، ولكنه لم يقدم إليك أي خطاب رسمي يؤيد هذا ، فهل تحققت من انه لم يكذبك القول .. ؟

واقترح "**باجيت**" ان نبعث ببرقية إلى "**ميلاري**" نستفسر فيها عن "**رايبورن**" .

وفي المساء نفسه جاءنا الرد بأن وزارة الخارجية لا تعلم شيئا عن هذا المدعو "**رايبورن**" وانها لم توفده إليّ .

وما لبث "**باجيت**" ان خرج إلي باسطورة ثانية .

جاء يهمس في اذني بان "**رايبورن**" لابد ان يكون هو ذلك القاتل الشهير ، "الرجل ذو السترة الرمادية " الذي يطارده رجال الشرطة ويسعون في عقبه .

ولم احاول في هذه المرة ان اكذبه ، فقد عودني في المرتين السابقتين أن يكون صادقا في تأويلاته وسوء ظنه .

وقلت له :

– أولى بي ان أبادر بالسفر إلى "**روديسيا**" . ولكنك لا يمكن ان تصحبني بهذه العين السوداء المتورمة ، إذ كيف أقابل أقراني من رجال الأعمال وأقدم إليهم سكرتيرا يبدو وكأنه ملاكم خرج لتوه من الحلقة مهزوما مضروبا ؟

– ولكن ما عساك تفعل برسائلك .. ؟ من الذي سيدونها لك .. ؟

– سأدبر الامر بطريقة ما .. ساعرض على الآنسة "**بيدنجفيلد**" ان تصحبني وتعمل سكرتيرة لي .

ولشدة دهشتي اعترض "**باجيت**" بقوة على اقتراحي ، ومضى يلح في الرجاء بالا أستخدم "**آن بيدنجفيلد**" .

ولكي أغيظه تشبثت بها ، وتركته ساخطا متبرما .

- 16 -

("آن بيدنجفيلد" تروي قصتها)

صحوت في ذلك الصباح مبكرة ، وصعدت إلى الجزء الأعلى من سطح الباخرة ،

أتطلع إلى روعة الجبل الشامخ ، تكلله السحب البيضاء كأنها تاج من الزهر الناصع البياض .

وحدثت مني لفتة إذ لمحت شبح رجل في الركن القصي من المكان غارقا بدوره في تأملاته وأحلامه .

على أني ما لبثت أن رأيته يزايل مكانه ويتجه إلى ناحيتي ويلقي إليّ بالتحية . ولم يكن هذا الرجل سوى "**رايبورن**" . وقال :

– أريد أن أعتذر إليك عما بدر مني بالأمس .

فأجبت :

– لقد كانت ليلة حافلة .

– هلا غفرت لي خشونتي وسوء أدبي ..؟

فبسطت إليه يدي أصافحه دون أن أنطق بكلمة .

وتجهم وجهه قليلا ، وقال في نبرات رزينة :

– آنسة "**بيدنجفيلد**" .. أرجوك أن تستمعي إليّ .. إنك مستهدفة لأخطار لا يمكن أن تعرفي مداها .. إنك إزاء منظمة إجرامية خطيرة لا يتورعون عن أشد جرائم القتل وحشية ... إني خائف عليك .

وسألته :

– ولكن ما الذي يحملك على تحذيري ..؟

فسكت برهة يتأملني ثم قال :

– إنك أنقذت حياتي ، وهذا أقل شيء أوفي به جميلك . ولكن إذا قدر لي أن أنزل إلى البر فقد أحاول أن أساعدك ..؟

فسألته :

– ماذا تعني بقولك إذا قدر لك أن تنزل إلى البر ..؟

– هناك آخرون يعرفون أنني ذو السترة الرمادية ، فإذا وشوا بي قبض علي فورا . وإن كنت أعتقد أن الرجل لن يبلغ عني لأنه يريد أن يستغلني ، ويراني حرا

طليقا أنفع له مني مقيدا سجينا .

ثم أردف :

– والآن وداعا فأغلب الظن أننا لن نلتقي مرة أخرى .

– بل سوف نلتقي .

وشد على يدي يصافحني ، وأحسست من لمسة أصابعه برجفة شملت بدني .

ومرت الساعتان التاليتان والقلق يكاد يفترسني ، أسائل نفسي عن مصير "**رايبورن**" .. ترى هل تلقي الباخرة مراسيها فينزل إلى البر في سلام ، أم يشي به ذلك الرجل الذي يعرف سره فيلقى القبض عليه ..؟

ولم أهدأ بالا إلا حين رأيت "**رايبورن**" يغادر السفينة إلى البر دون أن يتعرض له أحد بسوء ، ولحقت بـ"**سوزان**" وركبنا إحدى سيارات التاكسي ، ومضينا معا إلى فندق "نيلسون" لأقضي الليلة معها طبقا لاتفاقنا .

ونزلنا في الفندق في غرفتين متلاصقتين ، ذهبت إلى "**سوزان**" في غرفتها ، فبادرت تسألني :

– أرأيت "**باجيت**" اليوم .. ؟ لقد التقيت به مصادفة فرأيت له عينا سوداء متورمة كأنما تلقى لكمة عليها .

فقلت ضاحكة :

– إنها بالفعل أصيبت بلكمة .

ورويت لها ما حدث بيني وبين "**باجيت**" ، وكيف حاول أن يخنقني ويقذف بي في البحر ولولا أن خف "**رايبورن**" إلى نجدتي وعاجله بلكمة طرحته أرضا .

فقالت :

– هذا عجيب ..! إن اللغز يزداد غموضا .. ويبدو أنني أنا أيضا مستهدفة للخطر .

– لا أظن ، فإنك مازلت بعيدة عن الشبهات .

فقالت "**سوزان**" :

– وبهذه المناسبة ناوليني هذه الورقة لأبعث ببرقية إلى "**كلارينس**" .

وخطت هذه الكلمات على الورقة :

"تورطت في لغز مثير .. أرسل إليّ ألف جنيه فورا" .

وجاء بعض الأصدقاء من أهل المدينة يزورون "**سوزان**" فانشغلت بهم عني ، فخرجت أتجول في المدينة لأشاهد معالمها ، وأشغل وقت فراغي . وحين رجعت إلى الفندق وجدت في انتظاري مفكرة من أمين المتحف يقول فيها إنه عرف من قائمة ركاب الباخرة المنشورة في الصحف أنني ابنة عالم الأجناس الشهير البروفيسور "**بيدنجفيلد**" ، وأنه سبق أن التقى بأبي مرة أو مرتين ؛ ولذلك يسعده أن أتناول الشاي معه ومع زوجته في بيته في "**مويزنبرج**" بعد ظهر اليوم ووصف لي موقع الڤيللا، فأسرعت إلى المحطة وركبت القطار المسافر إلى "**مويزنبرج**" ، واهتديت إلى ڤيللا "**ميدجي**" بسهولة، وكانت في ركن قصي من الشاطئ . وفتح لي الباب خفير شاب وسألته عن السيدة "**رافيني**" فأجاب بأنها في انتظاري. ودعاني إلى الدخول .

وما كدت أتخطى الباب حتى انصفق ورائي في عنف ، وتقدم إليّ رجل ملتح يحييني في لكنة هولندية وقال:

– إذن فقد وفقنا إلى إغرائك بالحضور يا آنسة "**بيدنجفيلد**" .

وكانت في نبرته لهجة وعيد وتهديد ، وفي عينيه نظرة تتقد شرا .

وعندئذ وضحت لي الحقيقة في جلاء .

لقد وقعت في يد الأعداء .. وذهبت إلى موعد مع الموت .

- 17 -

قلت أخاطب الرجل الملتحي :

– لقد دعاني أمين المتحف لكي أتناول الشاي معه ، فإذا كنت قد أخطأت البيت . . .

فقاطعني :

– إنك لم تخطئي البيت ، وإنما أخطأت في قبول الدعوة أصلا . . . إنك أسيرتي يا آنسة "**بيدنجفيلد**" .

– وبأي حق تحتجزني ..؟ سوف أبلغ الشرطة ..

فضحك في سخرية وقال :

– هذا إذا قدر لك أن تغادري هذه الڤيللا وأنت على قيد الحياة .

فاستويت جالسة على أحد المقاعد وأنا أقول :

– يجب أن أنبهك إلى أن أصدقائي يعرفون وجهتي ، فإذا لم أعد إليهم حتى المساء جاءوا يبحثون عني ومعهم رجال الشرطة .

فقال يتحداني :

– إذن فأصدقاؤك يعرفون مكانك .؟ من منهم يا ترى ، فإن أصدقاءك كثيرون.

وكان لابد أن أقبل التحدي ، فأجبت وأنا أعلم أني كاذبة :

– السيدة "**بلير**" .. وهي صديقة لي وأنزل معها في الفندق نفسه.

– إن أكذوبتك مفضوحة يا آنسة "**بيدنجفيلد**" فإنك لم تقابلي السيدة "**بلير**" منذ الحادية عشرة صباحا لانشغالها مع بعض الأصدقاء ، في حين أنك تسلمت رسالتي وأنت إلى مائدة الغداء .

وأدركت من رده أن تحركاتي كانت موضع المراقبة . وقلت له :

– ترى ألم تسمع أبدا بذلك الاختراع الذي يسمونه التليفون ..؟ لقد اتصلت بي السيدة "**بلير**" تليفونيا وأنا في غرفتي بعد الغداء ، فأخبرتها أنني ذاهبة إلى ڤيللا "**ميدجي**" في "**مويزنبرج**" لتناول الشاي .

وأفلحت خدعتي فقد بدت أمارات القلق في وجهه الهولندي إذ صدّق قولي .

ثم هب واقفا وهو يقول :

– الا حسبك هذا .

وسألته وأنا أحاول أن أبدو هادئة متماسكة :

– وما الذي تنوي أن تفعل بي ..؟

– سأودعك مكانا لا تملكين فيه أن تسيئي إلينا إذا ما جاء أصدقاؤك بعقبك.

وسرت البرودة في أوصالي إذ فهمت من كلماته انه ينوي أن يقتلني .

واستطرد يقول :

– عليك غدا أن تجيبي عن بعض الأسئلة ، وبعدها ننظر فيما سوف نفعل بك

وشاع الاطمئنان في نفسي ، فسوف أظل على قيد الحياة حتى صباح الغد على الأقل .

وقد فهمت من إرجائه الأمر إلى الغد انه مجرد مرءوس لا يملك من الموقف شيئا ، ولكن ترى من يكون هذا الزعيم ..؟

ايكون هو **"باجيت"** ..؟

واستدعى الهولندي اثنين من الخفراء ، وأمرهما أن يصعدا بي إلى الطابق الأعلى ، وأمرهما بشد وثاقي وتقييد يدي وقدمي بحبل أحكما شده حتى كاد ينغرز في لحمي .

وانحنى الهولندي أمامي في سخرية وقال :

– إلى اللقاء غدا يا ضيفتي العزيزة .

وتركني وحدي عاجزة موثقة اليدين والساقين لا أجد وسيلة إلى الخلاص .

وحاولت ان أتخلص من قيودي فانغرز الحبل في لحمي وآلمني إيلاما شديدا ، وأرهقتني المحاولة وانهكت قواي ، فما لبثت ان غرقت في النوم .

وحين صحوت كان الليل قد هبط وعلى شعاع ضوء القمر الذي يتسرب من النافذة لمحت شيئا يبرق في ركن الغرفة . وركزت بصري على هذا الشيء ، وتبينت كنهه على الفور ... إنه قطع من الزجاج المكسور .

لو انني استطعت أن أصل إلى هذا الركن القصي من الغرفة ، وأن أمسك بقطعة

من الزجاج أحك بها الحبل الذي يدور بمعصمي وساقي .. لو ان هذا حدث لنجوت .

وبدأت أتدحرج على الأرض ، خطوة بعد خطوة والحبل يلهب جسدي بالألم.

أخيرا وصلت إلى قطع الزجاج المكسور ، وجاهدت طويلا أن أسند قطعة منها إلى الجدار ، وأخيرا افلحت ، وبدأت أحك الحبل الدائر بمعصمي في سنها الحاد ، ورويدا أخذ نسيج الحبل ينبري ، وأخيرا بشدة واحدة انقطع الحبل وإذا بيدي حرة طليقة .

وكان الأمر بعد ذلك سهلا هينا ، إذ استطعت دون عناء أن أقطع باقي قيودي وكان الشيء الذي أتلهف إليه في هذه اللحظة لقمة خبز أتبلغ بها وأسد بها جوعي إذ لم أكن تناولت شيئا منذ الغداء ولكن أين السبيل إلى ما أرجو ؟

فتحت باب الغرفة في حرص وحذر ، ولم يكن لحسن حظي مغلقا بالمفتاح من الخارج إذ لم يروا ما يدعوهم إلى ذلك وأنا موثقة بالقيود لا سبيل لي إلى الهرب .

تسللت إلى الممشى ، ثم بدأت أهبط درجة بعد درجة ، في خطو رقيق حذر ، وعندما بلغت منعطف السلم لمحت الخفير الصبي جالسا على مقعد بالقرب من الباب ، فجمدت مكاني خائفة مرتعبة ، ولكني ما لبثت ان ادركت انه غارق في النوم .

وتابعت نزولي في جراة ، وبلغت باب الغرفة ، والصقت اذني بمصراعه ، فلم أكد اتبين إلا أصواتا مختلطة غير واضحة . فملت إلى ثقب الباب أختلس النظر من خلاله .

كان سجاني الهولندي جالسا في صدر الغرفة ، وكان هناك رجل آخر وقد عرفته على الفور ، إنه القس **"شيستر"** رفيقي في الباخرة **"قصر كيلموردن"** ..!

وجعلت أذني على ثقب الباب ، وبدت الكلمات اكثر وضوحا وجلاء .

تبينت صوت الهولندي وهو يقول :

– لنفترض أن أصدقاءها جاءوا يبحثون عنها . .

وأجابه "شيستر" :

– إنها تحاول أن تخدعكم ، فإنهم لا يعرفون مكانها . ومع ذلك فهذه هي أوامر "**الكولونيل**" .

فقال الهولندي مزمجرا :

– ولكن لم لا نقتلها في الحال ونحملها إلى المركب ونقذف بها في اليم ؟

فقال "**شيستر**" :

– ولكننا لا نستطيع أن نخالف أوامر الكولونيل .. إنه يريد أن ينتزع منها بعض المعلومات .

وقلت في نفسي وأنا أستمع إلى هذه الكلمات : "معلومات عن الألماس بالتأكيد".

فقال "**شيستر**" :

– والآن ناولني القوائم لأطلع عليها.

وأخيرا سمعت القس "**شيستر**" يقول :

– حسنا ... سآخذ هذه القوائم معي لأطلع عليها الكولونيل .

– أتريد أن تقابل الفتاة ..؟

– لا ... فقد أمر الكولونيل أن تترك وحدها حتى يحضر إليها غدا .. إنها بالتأكيد موثقة بالقيود بإحكام .

فأجابه الهولندي :

– بالتأكيد فأنا الذي قيدتها بنفسي .

وسمعت القس "**شيستر**" يزيح مقعده تهيؤا للانصراف ، فأسرعت بالانسحاب، وتسللت راجعة إلى سجني ورقدت على الأرض كما كنت من قبل، ولففت الحبال حول معصمي وساقي حتى إذا خطر لهم أن يلقوا نظرة إليّ .. وقع في روعهم أنني

مازلت أرسف في أغلالي .

ولبثت ساعة ساكنة في مرقدي أتحين فرصة للفرار ، ولكنني حين تسللت من الغرفة مرة أخرى وجدت الخفير مازال جالسا على مقعده عند الباب ، ولكنه كان يقظا ساهرا على الحراسة .

وطلع الفجر ، وبدأت الأصوات تعلو من الطابق الأرضي ، فوقفت بباب غرفتي أنصت إليها .

وأدركت مما سمعت أنهم فرغوا من تناول الفطور ، ثم غادر "**شيستر**" البيت يصحبه الهولندي . وأطللت من فوق الدرج فوجدت الخفير يدخل إلى قاعة الطعام ليرفع الصحاف .

وعندئذ لم أتردد لحظة واحدة .. هبطت الدرج مسرعة وانطلقت إلى الخارج وأنا أجري بكل سرعتي .

كان الناس يتطلعون باستغراب إلى هذه المرأة التي تركض بأقصى سرعتها ولكني كنت لا أنفك أسألهم من حين لآخر : "أين المحطة" ..؟ فيشيرون إليها وأتابع الجري ، وتتبدد دهشتهم على الفور إذ من المألوف أن يجري المرء ليلحق بقطاره قبل أن يتحرك وحين رأتني "**سوزان**" ارتمت على صدري وهي تقول :

– أين كنت يا حبيبتي "**آن**" ..؟ أين بت الليلة ..؟ لقد انزعجت عليك انزعاجا شديدا .

فأجبت :

– كنت غارقة في المغامرات .

ورويت لها ما مر بي ، فقالت :

– لقد استهدفت حقا للموت .

ثم أردفت :

– والآن ماخطتنا المقبلة ..؟

فأجبت :

– إنك مسافرة بالتأكيد إلى "**روديسيا**" لتراقبي "**باجيت**" .

– وأنت ..؟ ما الذي تنوين ..؟

وكان سؤالا من الصعب الإجابة عنه .

لقد رأيت القس "**شيستر**" بين المتآمرين ، ولكنه لا يعرف أني كشفت سره ، فإذا استطعت أن أرقب تحركاته فذلك كفيل بإماطة اللثام عن اللغز الخفي .

ولكن ما الذي يعتزمه "**شيستر**" الآن ..؟ هل ينوي أن ينفذ خطته الأصلية فيسافر إلى "**ديربان**" ، أم أنه عدل عن ذلك وسيواصل رحلته على الباخرة ؟

ورأيت أن أسافر إلى "**ديربان**" ، فإذا ما بلغه فراري فلا أسهل عليه من أن يزايل المركب في أحد الموانئ ويلحق بي في "**ديربان**" .

وعلمت أن القطار يتحرك إلى "**ديربان**" في الثامنة .

وسألتني "**سوزان**" ونحن نتناول الشاي في قاعة الجلوس :

– وهل تستطيعين يا ترى أن تتعرفي على "**شيستر**" ..؟ أعني إذا تنكر على صورة أخرى ؟

ودخل الكولونيل "**ريس**" إلى القاعة في هذه اللحظة وانضم إلينا .

وسألته "**سوزان**" :

– إني لم أر السيد "**أوستاس**" اليوم .

– إن لديه مشكلة أقضت عليه مضجعه .

– حقا ..؟ حدثنا عنها إذن ... ما هي مشكلته ..؟

فسكت هنيهة ثم قال :

– ما رأيك إذا عرفت أن الرجل ذا السترة الرمادية كان رفيقا لنا طوال هذه الرحلة؟

فهتفت "**سوزان**" :

– حقا ؟ ماذا تقول ؟

واستطرد "**ريس**" :

– ورجال الشرطة يراقبون الآن جميع الموانئ ... لقد استطاع أن يخدع "**بيدلر**" ويلتحق بالعمل لديه سكرتيرا له .

– أتعني أن "**باجيت**" هو "ذو السترة الرمادية" ..؟

– بل أعني السكرتير الآخر .. "**رايبورن**" .

فتساءلت "**سوزان**" :

– وهل قبضوا عليه ..؟

– لقد ذاب في الهواء .

– وما رأي السيد "**أوستاس**" فيما حدث ..؟

– إنه يكاد يجن غضبا .

وتسنى لنا بعد الظهر أن نعرف رأي السيد "**أوستاس**" في الأمر فقد دعانا إلى مشاطرته الشاي .

ثم قال وفي صوته نبرة من الغضب :

– أولا : امرأة أجنبية تقتل في بيتي في "**فيللا الطاحونة**" فلماذا اختارت بيتي دون بيوت الناس أجمعين ..؟

واستطرد :

– وثانيا : يأتي إلي .. وبكل جسارة ويطلب مني أن ألحقه بخدمتي سكرتيرا.. وهكذا أصبح لي سكرتيران : أحدهما قاتل سفاح ، والثاني يدمن الخمر حتى يفقد توازنه فيقع على الأرض وتتورم عينه .

والتفت السيد "**أوستاس**" إلي وقال :

– ما رأيك يا آنسة "**بيدنجفيلد**" في أن تعملي سكرتيرة لي بصفة مؤقتة ريثما تشفى عين "**باجيت**" المتورمة ..؟

فقلت :

– شكرا لك يا سيد "**أوستاس**" ، ولكنني مسافرة الليلة إلى "**ديربان**" ..؟

وحاول أن يغريني بالقبول ، ولكني أصررت على الاعتذار .

وضغط السيد "**أوستاس**" الجرس واستدعى "**باجيت**" وقال له :

– لقد اعتذرت الآنسة "**بيدنجفيلد**" عن العمل سكرتيرة لي ، فاذهب إلى الغرفة التجارية ، وابحث لي عن سكرتيرة تجيد الاختزال ، ويجب أن تكون جميلة ، وألا يكون لديها اعتراض على أن أمسك بيدها أو أربت وجنتها .

وحين خلوت إلى "**سوزان**" قلت لها :

– علينا إذن أن نعدل خطتنا . و"**باجيت**" باق هنا ولن يرافق السيد "**أوستاس**" في رحلته إلى "**روديسيا**" ، وبذلك سيفلت من مراقبتك له .

فقالت :

– إذن سأبلغ السيد "**أوستاس**" أني عدلت عن مرافقته إلى "**روديسيا**" .

– لو أنك فعلت هذا لأثار تصرفك شكوك "**باجيت**" ... ثم إن سفرك ضروري على أية حال حتى يتسنى لك مراقبة الآخرين .

وأخذنا نتداول في الأمر ، وأخيرا قلت :

– اسمعي يا "**سوزان**" ... إن لدي فكرة ستمكنني من مراقبة "**باجيت**" .. سأتظاهر بأنني مسافرة الليلة إلى "**ديربان**" ، ثم أمضي إلى أحد الفنادق فأقضي فيه ليلتي خفية دون أن يخطر ببال أحد أنني لم أغادر "**كيب تاون**" . وفي الصباح أغادر الفندق متنكرة وأقتفي خطوات "**باجيت**" .

– هل تنوين أن تضعي شاربا مستعارا ..؟

فضحكت وأجبت :

– سأضع نظارة سوداء سميكة ، وأغير تصفيف شعري ، وأدهن حاجبي بخط أسود كثيف ، فإذا ما رآني "**باجيت**" استحال عليه أن يعرفني .

وأقرت "**سوزان**" هذه الخطة وراقت لها .

وتناولنا العشاء على مائدة السيد "**أوستاس**" ، وكان في نيتي أن أودعه بمسمع من "**باجيت**" وأن أقول له : إنني مسافرة الليلة إلى "**ديربان**" ، ولكن "**باجيت**" تناول طعامه في عجلة وزايل المائدة قبل أن تتاح لي هذه الفرصة .

ولما فرغنا من العشاء ذكرت للسيد "**أوستاس**" أنني مسافرة فقال :

– هكذا سمعت . وبهذه المناسبة يمكنك أن تستقلي السيارة مع "**باجيت**" ليوصلك إلى المحطة فإنه خارج الآن .

وكان هذا بالتأكيد كفيلا بأن يفسد خدعة تظاهري بالسفر إلى "**ديربان**" فقلت معتذرة :

– شكرا لك ، فقد استدعت السيدة "**بلير**" تاكسيا وستصحبني إلى المحطة .

ومضينا إلى ردهة الفندق ، وقلت لأحد السعاة :

– استدع تاكسي وانقل إليه حقائبي .

وسمعت صوتا ورائي يقول :

– لا داعي للتاكسي ... يمكنني أن أنقلك إلى المحطة بسيارة السيد "**أوستاس**" فإني خارج الآن .

وكان المتكلم هو "**باجيت**" . واعتذرت ، ولكنه ألح ، ولم أر مناصا من القبول حتى لا أثير شكوكه .

توقفت بنا السيارة أمام مبنى المحطة ، وجاء أحد الحمالين فحمل حقيبتي ، ومددت يدي إلى "**باجيت**" أصافحه وأشكره ، ولكنه قال :

– إن لدي متسعا من الوقت فلابد أن أصحبك إلى داخل المحطة إلى أن يتحرك القطار .

وهكذا صحبني حتى استويت جالسة في مقصورتي ، ووقف مع "**سوزان**" على رصيف المحطة يتحدثان إلي ، ولكنني كنت لاهية عنهما لا أكاد أفقه حرفا مما يقولان .

كيف أتخلص من هذه الورطة .. ؟ إنني لم أكن أنوي السفر إلى "**ديربان**" ، ولكن وجود "**باجيت**" يحول دوني والتسلل من القطار ، فما العمل ..؟ ما العمل ..؟

ويبدو أن "**سوزان**" هي الأخرى كانت تفكر في طريقة تنقذني بها من هذه

الورطة .

تطلعت إلى ساعتها وقالت :

– سيتحرك قطارك بعد خمس دقائق .. إنها رحلة شاقة ، وسوف تعانين الحر، فهل جئت معك بزجاجة كولونيا .. ؟

وفهمت ما ترمي إليه فقد كانت هي نفسها التي زودتني بزجاجة كولونيا ، فهتفت في رنة أسف .

– يا إلهي .. ! لقد نسيت .

وتحولت "سوزان" إلى "باجيت" وقالت له :

– أمام المحطة صيدلية فاسرع واشتر زجاجة كولونيا .

فقال معترضا :

– ولكن الوقت ضيق .

– أمامك أربع دقائق فإذا أسرعت عدت في الوقت المناسب .

وتلكأ "باجيت" وتردد ولكن السيدة "بلير" بلهجتها الآمرة صرخت فيه :

– هيا .. تحرك أسرع .. أسرع .

ولم يسع "باجيت" إلا أن يلبي أمرها .

أسرع يهرول عبر الرصيف حتى خرج من فناء المحطة .

وهتفت بي "سوزان" :

– والآن اخرجي من الباب الثاني للمركبة ، وانزلي على الرصيف المقابل ، وتواري عن الأنظار ، فإن "باجيت" لن يعود إلا بعد أن يتحرك القطار .. أما ثيابك فلاتهتمي بها .. يمكنك أن تشتري غيرها على حسابي . أما أنا فسأظل واقفة بجانب نافذة المقصورة أتظاهر بأنني أتحدث إليك .

وأسرعت أنفذ المؤامرة .. في خلال ثلاث ثوان كنت متوارية وراء أحد الأعمدة على الرصيف المقابل .

ونجحت الخطة ، وتحرك القطار و "باجيت" قادم يلهث ركضا عند باب

المحطة .

ولوحت "سوزان" بيدها كأنها تودعني والقطار يبتعد ويزيد من سرعته رويدا رويدا .

ولحق بها "باجيت" وفي يده زجاجة الكولونيا ، فالتفتت إليه "سوزان" قائلة :

– آه .. إنك تأخرت .. هذا شيء يؤسف له ..

وبينما أنا خارجة من باب المحطة مهرولة اصطدمت برجل ضئيل الجسم ذي أنف ضخم لا يتناسب مع وجهه الصغير ، فاعتذرت إليه ، وتابعت طريقي .

- 19 -

لم أجد صعوبة في تنفيذ خطتي ، فقد اهتديت بسهولة إلى فندق صغير في أحد أركان المدينة .

وغادرت الفندق في الصباح الباكر وذهبت إلى المدينة لاشتري مجموعة من الفساتين الرخيصة وقبعة أخفي بها معالم وجهي .

وحين فرغت من شراء ما أحتاج إليه ركبت الترام ، ومضيت إلى إحدى الضواحي الريفية . ورحت أتمشى في الشوارع الهادئة أستمتع بالهواء النقي حتى يحين وقت سفر السيد "أوستاس" .

وانعطفت في شارع جانبي ، ثم لاحظت أن رباط حذائي قد انحل فانحنيت أربطه .. وبرز من المنعطف ورائي رجل كاد يصطدم بي وأنا منحنية فوق الحذاء فرفع قبعته وتمتم ببعض كلمات الاعتذار ، ومضى في طريقه . وخيل إليّ أن وجهه مألوف لدي ، وفجأة تذكرت هذا الوجه .

إنه الرجل نفسه ضئيل الجسم ذو الأنف الكبير الذي اصطدم بي عند مغادرتي المحطة .

ما الذي جاء بهذا الرجل إلى هذه الضاحية القصية .. ؟ هل تراه يتعقب

خطواتي ..؟

تطلعت في ساعتي واتجهت إلى محطة الترام ، ولمحت قطارا يكاد يتحرك ، فأسرعت أجري لألحق به . وسمعت وقع خطوات تركض بعقبي ، فالتفت خلسة ، فإذا بذي الأنف الكبير هو الذي يتعقبني . وفي اللحظة التي بلغت فيها الترام وتعلقت به كان هو الآخر قد حذا حذوي وتعلق بالترام نفسه ..

ترى أكان الأمر مجرد مصادفة أخرى ، أم انه يطاردني ويتعقبني ..؟

وأردت أن أستوثق بالأمر ، فشددت حبل جرس الترام فجأة قبل أن يبلغ المحطة التالية ، ونزلت فيها ، ولم يكن في وسع الرجل ان يحذو حذوي ، وإلا كشف نفسه .

وتواريت في أحد الأركان ، ثم رأيته قادما من ناحية المحطة التالية ، وهو يوسع الخطو لاهثا ، وعيناه تدوران في أرجاء المكان بحثا عني .

ولم يعد في الأمر خفاء بعد هذا .. إنه جاسوس يتعقب خطواتي وإذن فـ **"جاي باجيت"** يعرف الآن أنني لم أسافر إلى **"ديربان"** ، فأطلق هذا الرجل في أثري .

وركبت الترام التالي ، وفعل مطاردي مثلما فعلت .

وأيقنت عندئذ أن المسألة ليست قاصرة على **"باجيت"** وحده ، إذ لاشك في أنني إزاء منظمة قوية برأسها هذا **"الكولونيل"** الغامض ، ولها أعوان وأنصار في كل أرجاء البلاد .

واستعدت إلى ذهني بعض ما دار من حديث في الباخرة **"قصر كيلموردن"** ، وكيف كانوا يتحدثون عن الإضراب الشامل الذي سيقوم به العمال ، وحوادث التخريب التي وقعت دون أن يكتشف رجال الشرطة مرتكبيها .

لاشك في أن **"الكولونيل"** الغامض وراء هذه الأحداث كلها .

وبلغ الترام محطة شارع **"إديرلي"** فنزلت منه ومضيت أسير على الإفريز الأيسر ولم أحاول أن أختلس النظر ورائي ، فقد كنت موقنة من أن مطاردي

بعقبي .

ودخلت إلى كافيتيريا مررت بها في طريقي ، وجلست إلى طاولة المشرب ، وطلبت **"آيس كريم بالصودا"** ، وجعلت أرشفه على مهل . ورأيت مطاردي يدخل ورائي ويجلس إلى مائدة قريبة من باب الكافيتيريا . وفجأة هب مطاردي واقفا وخرج إلى الطريق وخطر لي أنه لابد أن يكون قد خرج لأنه لمح في الطريق شخصا ما أراد أن يتحدث إليه .

وتطلعت إلى الخارج فرأيت مطاردي يتحدث إلى رجل آخر ، وما كان هذا الرجل إلا **"جاي باجيت"** .

وتبادلا الحديث برهة ، ويبدو أن **"باجيت"** أصدر إليه تعليماته؛ إذ ما لبثت أن رأيته ينصرف إلى شأنه بعد أن تطلع في ساعته .

ولشدة دهشتي رأيت مطاردي يعبر الطريق ويتجه إلى شرطي كان واقفا على الإفريز المقابل .

وتحدث الرجل طويلا إلى الشرطي ، وكان في خلال ذلك يشير إلى الكافيتيريا .

ترى ما الذي يريده مطاردي من الشرطي ..؟

وفجأة وضحت الخطة لي وانجلت أمام عيني .

إنها المؤامرة نفسها الجهنمية القديمة :

فكما اتهموا **"هاري رايبورن"** من قبل بأنه هو الذي سرق الماسات **"دي بيرس"** ولفقوا له هذه التهمة الزائفة فإنهم يريدون الآن أن يلصقوا بي أية تهمة .. تهمة نشل مثلا حتى يقبض عليّ الشرطي ويزيحوني من الطريق .

وأسرعت إلى المشرب ونقدت البائع ثمن **"الآيس كريم"** ، ولشدة دهشتي وجدت في حقيبتي حين فتحتها محفظة محشوة بأوراق النقد .

يا لدهائهم وبراعتهم ..! لقد استطاعوا أن يدسوا الحافظة في حقيبتي ليتخذوا منها دليلا على أنني نشلتها من مطاردي ، وبذلك يطبق عليّ الاتهام .

وخرجت من الكافيتيريا مسرعة ورأيت مطاردي وفي رفقته الشرطي يتجهان إلى

ناحيتي ، فأسرعت أجري صوب محطة السكة الحديد ودخلت إلى فناء المحطة من الباب الرئيسي في شارع إديرلي ، ثم نفذت من الباب الجانبي ، ولكن مطاردي لم يحاول أن يلحق بي إذ وقع في روعه أنني سأدور حول المبنى لأدخل مرة أخرى من الباب الرئيسي لأستقل أي قطار أوشك أن يسافر ؛ ولذلك آثر أن يرتد مع الشرطي وأن يعودا ثانية إلى الباب الرئيسي ، ولكنني ما كدت أراهما يفعلان ذلك حتى نفذت من الباب الجانبي ورجعت إلى المحطة .

ورأيت قطارا يتحرك ، وأدركت على الفور أنه القطار الذي يستقله السيد "**أوستاس**" إذ كان هذا هو موعد مسيره ، فقفزت إليه .

ورآني مطاردي والشرطي أثب إلى القطار فأسرعا بعقبي ، ولكن كان مستحيلا أن يلحقا بي وقد بدأ القطار يزيد من سرعته ويطوي الأرض .

وجاء قاطع التذاكر فقلت له :

– إنني سكرتيرة السيد "**أوستاس بيدلر**" فأرجوك أن تذهب بي إلى مقصورته .

وفوجئ السيد "**أوستاس**" وأصحابه حين دخلت إليهم .

وهتف الكولونيل "**ريس**" :

– عجبا ..! أنت هنا .. كنت أظن أنك سافرت ليلة الأمس إلى المؤامرة ..!

وضحك السيد "**أوستاس**" وقال :

– إني سعيد بعودتك فقد سئمت سكرتيرتي الدميمة الآنسة "**بيتجرو**" ، فإني لفرط دمامتها لم أستطع أن أمسك بيدها أو أربت على وجنتها . أما الآن فهانتذي قد جئت نجدة لي . فهيا اقتربي لأربت وجنتك .

وأغرقنا جميعا في الضحك .

وحين دخلت علينا الآنسة "**بيتجرو**" بعد لحظات ورأتني عراها اضطراب مفاجئ وأفلتت أصابعها القلم الرصاص الذي كانت ممسكة به فانكسرت سنه .

فلماذا اضطربت ..؟ نعم لماذا ..؟ كان هذا سرا مستغلقا لم أجد له تعليلا .

*****

- 20 -

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

هانذا الآن مسافر إلى "**روديسيا**" ومعي ثلاث سكرتيرات وقد احتكر "**ريس**" لنفسه الفتاتين الجميلتين ، وتركني مع تلك الدميمة الآنسة "**بيتجرو**" التي نكبت بها . إن هناك شيئا عجيبا غامضا بشأن "**آن بيدنجفيلد**" .. لقد ذكرت لي ليلة الأمس أنها ستسافر إلى المؤامرة ، ثم إذا بها تظهر فجأة في اليوم التالي، وتقفز إلى القطار في اللحظة الأخيرة بعد أن تحرك .

فأين كانت ..؟ وأين أمضت ليلتها ..؟

لقد أكد لي "**بادجيت**" أنه شيعها إلى المحطة ، وأن القطار تحرك بها أمام عينيه .

الحق أن لدي حفنة عجيبة من السكرتيرين .

السكرتير الأول: قاتل سفاح هارب من الشرطة .. والثاني: سكير مدمن سافر إلى "**فلورنسا**" فتورط في بعض الجرائم أو المؤامرات .. والسكرتيرة الثالثة: فتاة حسناء لها القدرة على أن توجد في مكانين مختلفين في وقت واحد : في "**ديربان**" وفي الوقت ذاته في "**كيب تاون**" . أما السكرتيرة الرابعة: الآنسة "**بيتجرو**" وبلا شك أنها عضو في إحدى العصابات .

وضقت ذرعا بهذه الخواطر التي انهالت عليّ فمضيت إلى شرفة المركبة الأخيرة ، ورأيت الكولونيل "**ريس**" محاطا بحريمه وهو يسرد حكاياته التافهة.

وكانت السيدة "**بلير**" تحمل آلة تصوير وهي منهمكة في التقاط عشرات من الصور لكل ما حولها .. حتى للقطار الذي تستقله .

وسألتني السيدة "**بلير**" :

– إلى متى تنوي أن تبقى في مدينة الشلالات يا سيد "**أوستاس**" ..؟

فأجبت في حذر :

– هذا يتوقف على الحالة في "**جوهانسبرج**" ... فإني لا أريد أن أزورها في

الوقت الحاضر لاني أعتقد أن الثورة وشيكة الاندلاع .

فابتسم الكولونيل **"ريس"** وقال في استعلاء :

– إن مخاوفك لا أساس لها يا سيد **"أوستاس"** فـ **"جوهانسبرج"** مدينة هادئة .

وأحرجتني كلماته فقد بدوت أمام النساء الحاضرات جبانا رعديدا تذهب بي الأوهام كل مذهب .

فقلت له في برود :

– أحسبك تنوي أن تزور **"جوهانسبرج"** ..؟

– هذا محتمل جدا ، وأرجو أن أصحبك إليها .

فقلت :

– ربما أطيل إقامتي في مدينة الشلالات .

ولكن لماذا يحاول **"ريس"** أن يغريني بزيارة **"جوهانسبرج"** ..؟ لعله مغرم بـ **"آن بيدنجفيلد"** ، ولا يريد أن يفترق عنها ، إذ إنه يعلم أنها ستظل في صحبتي .

وانكشف لي شيء من غموض **"آن بيدنجفيلد"** ، فقد لاح لي أنها تعمل محررة في صحيفة الـ **"ديلي بادجيت"** ، فقد بعثت وهي في مدينة **"دي آر"** بالعديد من البرقيات إلى صحيفتها .

وقد خيل إليّ من الثرثرة التي تناهت إلى أذني طوال الليل وهي تحدث السيدة **"بلير"** في مقصورتها وتتلو عليها مقالاتها أنها كانت منذ أسابيع تطارد الرجل ذا السترة الرمادية ، وأنها لم تكن تعرف أنه يشاطرها الرحلة نفسها في الباخرة **"كيلموردن"** وفهمت أيضا من حديثها مع السيدة **"بلير"** أنها اكتشفت شخصية الأجنبية الحسناء التي قتلت في البيت الذي أملكه في **"مارلو"** أي في **"ڤيللا الطاحونة"** . لقد عرفت أنها راقصة روسية شهيرة تدعى **"نادينا"** .

ومهما يكن من الأمر فقد قالت في برقياتها للصحيفة إن شرطة **"جنوب إفريقيا"** تبحث عن الرجل ذي السترة الرمادية ، وأن أوصافه وزعت على جميع رجال الشرطة .

وفي كل محطة نقف فيها تشتري هي والسيدة **"بلير"** تلك الدمى الصغيرة الحقيرة التي يصنعها المواطنون من أهل البلاد حتى لقد بلغ عدد ما اشترتاه منها حوالي خمسين دمية .

ترى ما سر غرامهما بهذه الدمى المضحكة التافهة ، المصنوعة بطريقة بدائية سخيفة .

- 21 -

("آن بيدنجفيلد" تتابع قصتها)

كان البائعون ينقضون على القطار ومعهم دمًى من الخشب تمثل الحيوانات التي تزخر بها الغابات .

والذي حدث بعد هذا أننا بدأنا نشتري هذه الدمى في كل محطة نقف فيها، بل أخذنا نتنافس على الشراء مأخوذتين مبهورتين .

وفي الليلة التي انضممت فيها إلى جماعة السيد **"أوستاس بيدلر"** في القطار سهرت في مقصورة **"سوزان"** أروي لها تفاصيل الأحداث التي مرت بي، وكيف أن المنظمة السرية أصبحت تتعقب خطواتي في وحشية ، وكيف أنهم يرمون إلى اختطافي لينتزعوا مني بعض المعلومات .

وطرأت ببالي فكرة جديدة ، فقلت لـ **"سوزان"** :

– ولكن لم لا يكون **"بادجيت"** هو نفسه **"الكولونيل"** الغامض رئيس العصابة الخفي ؟

– ولكن **"سوزان"** أبت أن تقرني على هذه الفكرة قائلة :

– إن **"باجيت"** ضعيف الشخصية ، فلا يمكن أن يسيطر على هذه المنظمة الإجرامية القوية .

فقلت :

– حسبه أن يكون الرأس المدبر المفكر : يخطط ويدبر .

وفجأة قلت :

– وعلى فكرة .. كم أتمنى أن أعرف كيف جمع السيد "**أوستاس**" ثروته الطائلة .

– يا إلهي ..! أمازلت تشكين فيه ..؟

– إني لا أملك إلا أن أشك في كل إنسان .

فقالت "**سوزان**" :

– لقد ترامى إليّ أنه جمع ثروته بوسيلة يكره أن يتحدث عنها .

– لعلها إذن وسيلة ملتوية غير شريفة .

فقالت "**سوزان**" :

– هذا جائز .

وبدأنا بعد ذلك نناقش موقفي بالنسبة إلى صحيفة الـ "**ديلي بادجيت**" .

إن رأسي زاخر بالمعلومات ، فلماذا لا أبعث بها إلى صحيفتي لنشرها ..؟ لقد اكتشفت أن "**هاري رايبورن**" هو الرجل ذو السترة الرمادية ، وإن كنت أعلم أنه بريء من تهمة قتل الراقصة الروسية "**ناديا**" . ونشر هذه القصة لن يزيد موقفه سوءا لأن جميع رجال الشرطة يجدّون في أثره .

وهكذا استقر رأيي على أن أبعث إلى الـ "**ديلي بادجيت**" بكل ما لدي من معلومات .

ونشرت الـ "**ديلي بادجيت**" التحقيق الذي بعثت به إليها تحت عناوين بارزة .

وجاءتني برقية من اللورد "**ناسبي**" يهنئني على توفيقي ونجاحي .

- 22 -

وصلنا إلى "**بولا وايو**" صباح السبت .

وكان السيد "**أوستاس**" ساخطا عصبيا ، وأعتقد أن دمى الحيوانات التي اشتريتها أنا و"**سوزان**" هي التي أثارت حنقه ، وخاصة تلك الزرافة الخشبية الكبيرة

الحجم التي عهدنا إليه بحملها .

ويجب أن أعترف أن حمل خمسين دمية من هذا الطراز كان كفيلا بأن يربكنا ويضايقنا .

وقد حمل أحد الحمالين جزءا من هذه الدمى كما حمل الكولونيل "**ريس**" بعضها . وكان من نصيب الآنسة "**بيتجرو**" شيئا منها أيضا .

وبعد الظهر ذهبت مع كولونيل "**ريس**" نزور قبر "**رودس**" . أخذت السيارة الفورد العتيقة تشق بنا الطريق إلى جبل "**ماتابوس**" ونحن صامتان لا نكاد نتبادل كلمة واحدة .

وانتهينا إلى منطقة مليئة بصخور ضخمة . فقلت وأنا أتأملها :

– من يرى هذه المنطقة البدائية يخيل إليه أنها كانت مسكونة في قديم الأزمان بالجان والعمالقة .

فقال الكولونيل "**ريس**" مؤمنا :

– صدقت .. و"**إفريقيا**" كلها على هذا النمط : وحشية بدائية كأنها بلاد المردة . نزلنا من السيارة وأخذنا نثب من صخرة إلى صخرة لنبلغ القمة حيث يقوم النصب التذكاري لـ"**رودس**" .

وفجأة كففنا عن المسير ، ووقف الكولونيل "**ريس**" في مواجهتي وسألني :

– آنسة "**آن بيدنجفيلد**" .. ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ..؟

فأجبت :

– نورية تطوف بأرجاء العالم .

– إني لا أصدق هذا .. حكاية أنك مندوبة صحفية مجرد ذريعة للتمويه .. ما هي حقيقة مهمتك ..؟

أشحت بوجهي قليلا حتى لا تتلاقى عيناي بعينيه وقلت له :

– كولونيل "**ريس**" .. هل لك أن تصارحني بما جئت أنت تفعله في هذه البلاد ..؟

فأجاب في هدوء :

– جئت سعيا وراء المجد والطموح .

– إنهم يقولون إنك تعمل في المخابرات ، فهل هذا صحيح ..؟

فأجاب :

– أحب أن أؤكد لك يا آنسة "آن" أنني جئت إلى هذه البلاد كفرد عادي لا شأن له بأي عمل رسمي .

وعدنا إلى السيارة بعد أن شاهدنا مقبرة "رودس" ، وفي طريق العودة مررنا بأحد المطاعم فاقترح "ريس" أن نتناول قدحا من الشاي مع شيء من الفطائر . وفوجئت بأن احتشدت حولنا مجموعة من القطط الجائعة ، وهي تموء بشدة وترنو إلينا بأنظارها . فرميت إليها بعض لقيمات من الفطير فالتقمتها بسرعة .

ومضى الكولونيل "ريس" إلى صاحب المطعم ثم عاد يحمل إليها صحنا من الحليب (اللبن) والخبز ، فتهافتت عليه .

وفي السيارة قال لي :

– "آن" ... إنني في حاجة إليك .. هل تتزوجينني ؟

وكانت كلماته مفاجأة أذهلتني .

وأجبت متلعثمة :

– لا .. لا . لا أستطيع .

– وما السبب ..؟

وأردت أن أكون صريحة لا أكتم دونه شيئا فقلت :

– هناك رجل آخر .

فهز رأسه وغمغم :

– فهمت .. وهل كان هذا الرجل موجودا في حياتك قبل أن تستقلي الباخرة؟

فقلت :

– لا .. لقد حدث ذلك بعد ركوبي الباخرة .

فقال في صوت مختنق :

– فهمت .. الآن عرفت ما يجب علي أن أفعله .

– ماذا تعني ؟

فأجاب :

– لا شيء .. لا شيء !

وسادنا الصمت بعد هذا فلم نتبادل كلمة واحدة طوال رحلة العودة إلى الفندق .

*****

ما إن دخلت على "سوزان" غرفتها في الفندق حتى ارتميت على صدرها ، وانفجرت أبكي في مرارة .

وراحت تسائلني عما ألم بي ، فحدثتها عن القطط التي تموء جوعا ، ولكن حديثي لم يخدعها ، فقد سألتني :

– وهل هذه القطط هي سبب هذه الرعشة التي تهز بدنك هزا عنيفا ؟

فقلت :

– إن أعصابي منهارة .. الوساوس تملأ صدري وأشعر كأن كارثة رهيبة توشك أن تنزل بي .

– دعك من هذه الأوهام يا "آن" ودعينا نتحدث عن شيء طريف مبهج .. فلنتحدث عن الألماسات مثلا .

فتساءلت :

– وماذا عنها ؟.

– أعتقد أن احتفاظي بها ليس من الحكمة في شيء ، فالناس يعرفون مدى الصداقة التي بيننا ، وليس أهون عندهم من أن يعتقدوا أنني أنا التي أحتفظ بها لدي .

– ولكن لا يمكن أن يتطرق إلى ظنهم أنها مخبأة داخل لفافة فيلم ..

فقالت :

– فلندع الأمر الآن .

وانتهينا أخيرا إلى مدينة الشلالات ، وذهبنا إلى الفندق واغتسلنا .

وبعد تناول الشاي ركبنا الترولللي ، وأخذت جماعة من الزنوج تدفعه صوب الجسر الذي يفضي إلى الشلالات .

كان المشهد رائعا : الهوة عميقة لا قرار لها ، والمياه المتدفقة من أسفلها ، وغلالة الرذاذ المتناثر ، ومجرى النهر وهو يتدفق بسرعة مخيفة ويتكسر على الصخور الهائلة .

وعبرنا الجسر ، ثم مشينا على الطريق الضيق الذي تحفه الصخور البيضاء على جانبيه ، وهو يدور حول مجرى الشلال حتى ينتهي إلى الساحة الشاسعة التي تطل على الهوة العميقة .

وقال الكولونيل "**ريس**" :

– أتريدون أن تهبطوا إلى أخدود النخيل ؟ أم تريدون أن ترجئوا الأمر إلى الغد ؟ قد يكون الهبوط هينا ميسورا ، أما الصعود فمتعب شاق .

وآثرنا أن نرجئ هذه الرحلة إلى الصباح .

وقال الكولونيل "**ريس**" :

– أتحبون أن تشاهدوا الغابة التي تتناثر فوقها مياه الشلال ؟

وأخيرا رجعنا إلى الفندق فتعشينا ، ثم أوينا إلى مخادعنا ، ولكن النوم جافاني .

وسمعت نقرات على باب غرفتي ، ودخل أحد سعاة الفندق يحمل إليّ رسالة مطوية ، كان هذا نصها !

يجب أن أراك . لا أستطيع بالتأكيد أن أظهر في الفندق . هل لك أن تقابليني في ساحة الشلال المجاور لأخدود النخيل ،

إحياء لذكرى المقصورة رقم 17 ؟ أرجوك أن تلبي رجائي .. الرجل الذي عرفته باسم "**هاري رايبورن**" .

✽✽✽✽✽✽

إذن فـ "**رايبورن**" هنا في مدينة الشلالات ، يتوارى فيها عن أنظار رجال الشرطة الذين يطاردونه .

ولم أتردد لحظة واحدة ، وأسرعت أتسلل من غرفتي ، ومررت بغرفة السيد "**أوستاس**" وسمعته يملي خطابا على سكرتيرته الآنسة "**بيتجرو**" ، أما الكولونيل "**ريس**" فلم يكن لا في غرفته ولا في قاعة الجلوس .

تسللت خارجة من الفندق دون أن يشعر بي أحد وتابعت طريقي إلى الساحة المشرفة على الهوة وأخدود النخيل .

مشيت ست خطوات ، ثم توقفت ، وتسمرت مكاني لقد سمعت خشخشة ورائي ....

وتقدمت خطوات أخرى ، وسمعت الخشخشة نفسها .

ثم رأيت شبح رجل يبرز فجأة في أحشاء الظلام ، ويقفز في الهواء محاولا أن ينقض عليّ .

كان الظلام دامسا فلم أتبين وجهه ، وكان كل ما أيقنت منه أنه مديد القامة يرتدي ثيابا أوربية .

وانطلقت أجري وهو يعقبي . وفجأة شعرت بأنني أخطو في الفضاء وأن قدميّ لم تستقرا على أديم الأرض .

ومن ورائي سمعت الرجل يطلق ضحكة مدوية . كانت ضحكة رهيبة .. ضحكة شريرة شيطانية .

وبدأت أهوي إلى أسفل .. إلى أسفل .. إلى أسفل .. وصدى الضحكة الشيطانية يصك سمعي .

- 23 -

أخذت أستفيق من الإغماء في بطء وألم .

شعرت برأسي يطن ويدق ، وعندما حاولت أن أحرك ذراعي الأيسر سرى فيه ألم حاد .

ثم أخذ النوم يراودني مضطربا ، حتى غلبني النعاس أخيرا .

وصحوت مرة أخرى وقد انجاب الكابوس عن رأسي ، وتجلت الصور الباهتة المتداخلة ، وتذكرت كل ما حدث :

تلقيت رسالة "**هاري**" ، وأسرعت إلى لقائه في ساحة الشلالات ، ثم ذلك الشبح الذي برز إليّ من أحشاء الظلام .. وركضت هاربة .. ثم إذا بقدميّ تخطوان إلى الفضاء ، وأتردى في الهاوية .

وخيل إلي لأول وهلة أنني وحدي في هذه الغرفة ولكني ما لبثت أن أدركت أن هناك إنسانا يجلس على مقعد بين سريري وبين الباب . ولكن صاحب الوجه حينما رآني أتحرك نهض واقفا واقترب مني ومال فوق وجهي يتطلع إليّ .

وسألني :

– كيف حالك الآن ! هل أنت بخير ؟

وعرفته على الفور .. إنه "**هاري رايبورن**" !

وعجزت عن النطق ، فقد أخذت الدموع تنساب على وجهي ....

وهمس في صوت رقيق حان :

– لا تبكي يا "**آن**" .. إنك الآن في أمان .

ثم مضى عني وعاد يحمل إليّ قدحا من الحليب (اللبن) وقال :

– لا توجهي إلي الآن أي سؤال ، بل نامي واستريحي .. وفيما بعد سوف نتحدث طويلا .

وأخذ بيدي بين راحتيه ، وهمس :

– أغمضي عينيك .. نامي .

أطبقت عيني ، وهدأت أنفاسي ، وانتظمت ، وما لبثت أن غرقت في النوم .

وحين صحوت كان المساء قد هبط ورأيت امرأة عجوزا سوداء الوجه تجلس

بالقرب مني وتبتسم في وجهي في حنان .

ثم شعرت بخطوات تقترب ، وجاء "**هاري**" إلى الغرفة وانسحبت المرأة .

وسألني :

– يبدو أنك استعدت قوتك الآن ؟

فأجبت :

– إنني بالتأكيد أحسن حالا ، ولكن أين أنا ؟

– إنك في جزيرة صغيرة في نهر "**زمبيزي**" تبعد حوالي 6.5 كم عن مدينة الشلالات .

– وهل يعرف أصدقائي أنني هنا ؟

هز رأسه نفيا وأردف :

– يحسن بك ألا تبعثي إليهم بكلمة إلا بعد أن تستعيدي قوتك .

وسألته :

– كم مضى علي هنا ؟

وأدهشتني إجابته إذ قال :

– شهر تقريبا .. ولكن من هم أصدقاؤك هؤلاء ؟

– "**سوزان**" .. أعني السيدة "**بلير**" والسيد "**أوستاس بيدلر**" والكولونيل "**ريس**" .. ولكن كيف أنقذتني ؟ كيف عثرت علي ؟

– معلقة فوق شجرة تشرف على الهاوية وثيابك مشتبكة بالأغصان .. ولولا أنني مررت مصادفة بهذا المكان لكان من الممكن ..

– مصادفة ؟ والرسالة التي بعثت بها إلي ؟

– إنني لم أبعث إليك بأية رسالة .. إنها مزيفة .

فعدت أسأله :

– ولكن ما الذي جاء بك إلى هذه الجزيرة المنعزلة ؟

– لأن فيها مسكني .. إنني أقيم هنا منذ وضعت الحرب أوزارها . وكنت أتجول

بالقرب من الشلالات فسمعتك تصرخين ، ورأيتك معلقة على الشجرة .

وعدت أسأله :

– ولكن لماذا لم تخطر أصدقائي بأنك عثرت عليّ ؟

فسكت هنيهة ثم قال :

– يبدو لي يا آنسة "آن" أنك لا تدركين مدى الأخطار المحدقة بك .. إن الذي استدرجك إلى الموت بهذه الرسالة المزيفة شخص يعيش في الفندق .. بالقرب منك .. ومن المحتمل جدا أن يكون عدوك واحدا من هؤلاء الأصدقاء المزعومين. فكيف بعد هذا أخطرهم بوجودك ؟

فقلت :

– حسنا .. لا داعي إذن لإخطارهم ، ولن أحاول أن أتصل بهم ..

فقال لي :

– أتريدين أن أسدي إليك نصيحة ؟

فقلت :

– إني مصغية إليك .

فأجاب :

– نصيحتي إليك أن تتظاهري بأنك مفقودة .. أعني لا داعي لأن تتصلي بأصدقائك .. دعيهم يعتقدون أنك مت ..

واستطرد :

– وعندما تستردين قواك سافري إلى "بييرا" واستقلي الباخرة من هناك وعودي إلى "إنجلترا" .

فقلت في ازدراء :

– ألا يكون هذا التصرف مني جبنا وخورا ؟

فقال :

– إنك تتكلمين كالطفلة الصغيرة الساذجة .

فقلت في غضب :

– إنني لست طفلة صغيرة ! إنني امرأة .. امرأة ناضجة !

فتأملني بنظرة فاحصة ، وغمغم في صوت خافت :

– إنك والحق امرأة ناضجة ، وكان الله في عوني .

ثم انبعث واقفا واستدار فجأة وغادر الكوخ .

●●●●●

يوما بعد يوم بدأت أتماثل للشفاء وأسترد قواي .

وتتابعت الأيام ونحن نعيش معا ، ونتناول الطعام معا ، ونتناقش ونختلف ونتشاجر أحيانا .

وكنت أعلم أن يوم الرحيل سوف يحل عاجلا .

وذات يوم كنت جالسة عند باب الكوخ وشعري الطويل منسدل على كتفي ومنكبي ، إذ لم يكن لدي دبابيس أو مشابك أثبته بها .

وفطنت فجأة إلى أنه كان يتأملني بنظرة حالمة . وقال :

– أتعلمين يا "آن" أنك تشبهين بهذا الشعر الطويل المنسدل حورية خرجت فجأة من أعماق البحر ؟

وبسط إليّ يده ولمس شعري ، وجرت أنامله على جدائلي ، فسرت في أوصالي رجفة هزت بدني .. ثم إذا به ينبعث واقفا وهو يسب ويلعن :

– اسمعي .. يجب أن تسافري غدا .. إنني لم أعد أحتمل بقاءك هنا يوما واحدا! .. إنني لست إلا مجرد بشر .. نعم .. يجب أن ترحلي يا "آن" ..

فقلت :

– أعرف ذلك .. ولكنك كنت سعيدا ، أليس كذلك ؟

– بل كنت أعيش في جحيم .. بالله عليك لماذا تعذبينني ؟ لماذا تسخرين مني؟

– إنني لا أسخر منك .. إذا كنت تريد مني أن أبقى .. فسوف أبقى .. يكفي

أن تامرني .

– "آن" .. لا تحاولي أن تستفزيني ! هذه حال لا تطاق ! هل تدركين من أنا ؟ إنني مجرم يطاردني جميع رجال الشرطة .. إنني رجل هارب مطارد لا يستقر في مكان واحد .. أما أنت ففتاة جميلة .. أمامك الحب والشباب ، وفي يوم ما سوف تتزوجين ، وتصبحين من أسعد النساء .. نعم .. يجب أن أنقذك من نفسي ومن نفسك .. غدا يجب أن تسافري .. بل الليلة إن أمكن .. لم أعد أطيق أن أبقى معك تحت سقف واحد ساعة واحدة .

- 24 -

كان "هاري رايبورن" يرتجف انفعالا وهو يردد هذه الكلمات ..

وقلت :

– وهبني رحلت فما يكون من شانك ؟

فأجاب :

– سأبقى هنا حتى أنتقم لك .. وحين أعرف اسم من حاول أن يقتلك سوف أدق عنقه وأقذف به إلى هوة الشلال الهادر كما أراد أن يفعل بك .

فقلت :

– يجب ألا تظلمه يا "هاري" إنني أخطأت الطريق فمشيت في اتجاه الهاوية .

فقال :

– إنك واهمة في هذا يا "آن" فقد ذهبت إلى الموضع نفسه وتبينت خطته الجهنمية .. إنك تعلمين أن هناك ممرا ضيقا على رأس الهوة تحفه صخور بيضاء تظل واضحة حتى في الليل لكيلا تضل خطى السائر ويتخطاها إلى الهاوية ولكن هذا القاتل الشيطاني نقل الصخور البيضاء بحيث جعلها تتجه مباشرة إلى قاع الهاوية . وبذلك كنت تسيرين بين الصخور البيضاء متجهة إلى حتفك وأنت لا تعلمين .

– إذن فهي نية مبيتة لقتلي ؟

– تماما .. لقد أرادوا أن يقتلوك لأنهم يعتقدون أنك تعرفين أكثر مما ينبغي .

ثم أردف :

– وأظن أن من حقك الآن أن تعرفي قصة حياتي .

●●●●●

وأنشأ "هاري رايبورن" يروي لي تاريخ حياته ..

إنني أدعى "هاري لوكاس" ، أما "هاري رايبورن" فاسم مستعار مزيف . وفي الجامعة التقيت بزميلي "جون إيرديسلي" ، وهو ابن المليونير "إيرديسلي" صاحب مناجم الذهب .

كان "جون" شابا متلافا مولعا بالقمار ، وطالما تورط في العديد من الفضائح ، فيغرق نفسه في الديون ، أو يصدر شيكات بغير رصيد ، فيبادر أبوه إلى سداد ديونه وينقذه من مخازيه . وضاق الأب يوما بأفعال ابنه فطرده من بيته .

وضاقت سبل العيش في وجه الابن ، فتخلى عن الدراسة في "كامبريدج" ، ورحل إلى "أمريكا الجنوبية" ، ولما كانت أواصر الصداقة بيننا وثيقة متينة ، فقد حذوت حذوه ، وصحبته في رحلته ، وعشنا معا في تلك البلاد نعاني شظف العيش .

وأخيرا حالفنا الحظ فعثرنا على منجم للألماس في "غينيا البريطانية" ، وأدركنا أن أبواب الثراء قد فتحت .

وأخذنا بعض عينات من الألماس ، وسافرنا إلى "كمبرلي" لنعرضها على الخبراء لفحصها حتى يتبينوا مستواها .. وهناك في "كمبرلي" التقينا بها في الفندق ..

وأمسك "هاري" فجأة عن الكلام ، وتقلصت عضلات وجهه وتقبضت أصابعه في ثورة وانفعال . ثم استطرد :

– كانت هذه المرأة تدعى "آنيتا جرونبرج" . هذا هو اسمها الحقيقي ، وكانت

ممثلة ، وعلى غاية من الجمال والشباب الفائر المتدفق . . .

وكانت تحيط بـ "آنيتا" هالة من الغموض ضاعفت فتنتها في نظر هذين الشابين اللذين جاءا من أعماق الادغال .

وهكذا وقعنا نحن الاثنان – انا و "جون" – في هواها ، وأدارت رأسينا ، ومع ذلك ولشدة إخلاصنا المتبادل كان كل منا على استعداد لان يسحق قلبه ، وأن يتخلى عنها للآخر الذي تختاره زوجا لها .

ولكن "آنيتا" كانت تبيت خطة أخرى خبيثة . . لم تكن تحب أيا منا ، ولم تكن تنوي أن تقترن بأحدنا ، إذ كانت متزوجة فعلا من رجل يشتغل بصقل الألماس، ويعمل في شركة "دي بيرس" ، وإن كانت قد كتمت عنا نبأ زواجها لغرض في نفسها .

وكنا بالتأكيد لفرط حبنا إياها وافتتاننا بها قد أفضينا إليها بخبر المنجم الذي عثرنا عليه .

وهكذا اتفقت "آنيتا" مع زوجها – ويدعى "كارتون" – وبمساعدته واشتراكه وقعت في "كمبرلي" سرقة كبيرة واختفى جزء من الألماس كانت شركة "دي بيرس" قد سلمته إلى البنك لإرساله إلى "إنجلترا" .

واتجهت الشبهات إلى هذين الشابين المغامرين اللذين قدما من "غينيا البريطانية" وألقى البوليس القبض علينا ، وفتشت أمتعتنا وعثروا فيها على حفنة من الألماس ، فقلنا : إنها عينات جئنا بها من منجمنا في "غينيا" ، وفحصها الخبراء فإذا بها نفسها هي جزء من تلك الألماسات المسروقة من شركة "دي بيرس" .

وكانت "آنيتا" قد اختفت في ذلك الوقت ، فانكشف لنا سر المكيدة ، وأدركنا أنها سرقت العينات وهربت بها ، بعد أن وضعت مكانها جزءا من الألماس المسروق .

وتدخل السيد "إيرديسلي" في الامر ، ودفع ثمن الألماس المسروق الذي قدر بحوالي ربع مليون جنيه ، وهكذا سحب "دي بيرس" شكواه وحفظت الدعوى ضدنا ، وأعلنت الحرب عندئذ فتطوعنا في الجيش ، ومات صديقي "جون" في

أثناء القتال إذ كان يلقي بنفسه في مغامرات حمقاء كأنما يسعى إلى الانتحار أما أنا فاصبت بجرح وآواني أحد المواطنين في داره حتى شفيت ، ولذلك أعلن الجيش أنني في عداد المفقودين .

وسكت "هاري" هنيهة ثم استطرد يقول :

وأقسم لك يا "آن" أنني حقدت على هذه المرأة حقدا شديدا . . . تلك المرأة التي لوثت اسمينا ، وكانت سببا في مصرع زميلي ، وموت أبيه بعد هذه الفضيحة المدوية ، إذ لم يحتمل الأب المسكين أن تعرف الدنيا أن ابنه لص مغامر .

ولجأت إلى هذه البلاد لأنها موطني الأصلي ، وعشت في هذه الجزيرة الصغيرة المعزولة ، واشتريت قاربا أنقل فيه الناس عبر الشلالات ليشاهدوا معالمها .

ثم وقع شيء أهاج في نفسي مكامن الذكريات الراكدة .

حدث يوما وأنا أنقل جماعة من الناس في قاربي أن مددت يدي أساعد رجلا على الصعود إلى القارب ، فما إن وقعت أنظاره علي حتى أطلق صيحة دهشة وذهول ، وبانت في وجهه أمارات الخوف الشديد ، ولكني تظاهرت بأنني لم أفطن إلى ما حدث ، وظل الرجل طوال الرحلة يختلس إلى وجهي نظرات مذعورة .

فلما غادر قاربي تحريت عنه ، وعلمت أنه يدعى "كارتون" ، وأنه قادم من "كمبرلي" حيث يعمل في صقل الألماس في شركة "دي بيرس" .

وخطر لي أنه لابد كان مشتركا في تلك السرقة الكبيرة التي وقعت في "كمبرلي" ، وألصقت تهمة ارتكابها بي وبصديقي "جون إيرديسلي" .

ولم أتردد لحظة واحدة ، فسافرت إلى "كمبرلي" لأجمع مزيدا من المعلومات ، ورأيت أن خير وسيلة لذلك هي أن أواجه الرجل مباشرة وأصوب إليه مسدسي وانتزع منه المعلومات التي أبتغيها .

وذهبت إليه ليلا في بيته ، وشهرت مسدسي في وجهه ، وطلبت إليه أن يتكلم.

واعترف لي بأن "آنيتا جرونبرج" زوجته ، وأنهما دبرا السرقة معا ، ولكن "الكولونيل" هو الذي وضع الخطة بحيث يتخذ مني ومن صديقي "جون" كبش

الفداء" فيوجه الاتهام إلينا نحن الاثنين دون أن يتطرق الشك إلى المتآمرين الذين سرقوا بالفعل ماسات "**دي بيرس**".

وسألته عن اسم "**الكولونيل**" فأكد لي أنه لا يعرفه، وطلبت منه أن يصفه لي فأقسم أنه لم يره في حياته. وعدت أهدده بمسدسي، وأنذرته بأنني سأطلق عليه النار، لأن المصير الذي ينتظرني لا يخيفني مادمت أعيش في عزلة عن الناس مجللا بالعار.

وبدأ "**كارتون**" يدلي إلي بما كان يخفي من معلومات.

قال إن زوجته "**آنيتا**" لم تكن تثق بالكولونيل، وكانت تعرف أنه رجل غادر يبطش بأعوانه بعد أن يستغلهم، وبعد أن يصبحوا عديمي الجدوى لا ينفعونه بشيء؛ ولذلك آثرت أن تحتفظ لديها بشيء تهدده به حين ترى منه بوادر الغدر والخيانة؛ ولذلك لم تسلمه جميع عينات الألماس التي سرقتها منا، وإنما احتفظت لديها بجزء منها لتكون سلاحا في يدها تشهره في وجهه إن آنست منه ما يخيفها، فإن هذه الألماسات هي التي يمكن أن تبرهن بها على براءتي وبراءة "**جون**"، وأن السارق الحقيقي هو "**الكولونيل**".

واستطرد "**هاري**" يتم القصة:

وقال لي "**كارتون**" إن زوجته "**آنيتا**" سافرت بعد السرقة إلى "**أوربا**"، واحترفت الرقص، واتخذت لنفسها اسم "**ناديتا**" الراقصة الروسية الشهيرة، وعملت في "**باريس**" خلال الحرب، واشتغلت بالجاسوسية واللصوصية والتزوير تحت إمرة "**الكولونيل**" وبتوجيهه. واختتم "**كارتون**" حديثه بأن قال إن زوجته كتبت إليه بأنها ستطلب من "**الكولونيل**" قدرا كبيرا من المال لتسلمه عينات الألماس الخاصة بي، وإلا وشت به إلى "**دي بيرس**"، وعندها سيعرف سر السرقة التي وقعت في شركته، فيجر الكولونيل إلى غياهب السجون.

وعلمت بعد ذلك أن "**كارتون**" أخذ إجازة طويلة من عمله، وأنه حجز لنفسه مكانا على الباخرة "**قصر كيلموردن**" المسافرة إلى "**إنجلترا**"، فما كان مني إلا أن

حجزت لنفسي تذكرة على الباخرة نفسها، بعد أن تنكرت في صورة كهل ذي لحية سرى فيها الشيب.

وفي "**لندن**" تعقبت "**كارتون**" دون أن يشعر بي، ورأيته يدخل إلى مكتب أحد سماسرة العقارات، ويطلب تصريحا بمشاهدة بيت في "**مارلو**" معروض للإيجار. فقد دخلت إلى المكتب بعقبه وسمعت شطرا من حديثه، وحذوت حذوه وبدأت أستعلم عن البيوت المعروضة للإيجار، وبينما أنا أفعل ذلك إذا بزوجته "**ناديتا**" تدخل المكتب لتستعلم بدورها عن المنازل الخالية، ولكنها لم تعرفني بسبب تنكري. وسمعتها تطلب تصريحا بزيارة بيت السيد "**أوستاس بيدلر**" في "**مارلو**" المعروف باسم "**فيللا الطاحونة**"، أي البيت نفسه الذي طلب زوجها أن يشاهده. وأدركت على الفور أنهما سيتقابلان هناك، وأن المقابلة بينهما ستجري بهذه الطريقة حتى يبدو وكأن الأمر جاء مصادفة فلا يثيران شكوك الكولونيل وأعوانه.

وساءلت نفسي لماذا اختارا بيت السيد "**أوستاس**" بالذات دون سائر البيوت..؟ لقد كنت أعلم أنه كان موجودا في "**جنوب إفريقيا**" عند وقوع حادث السرقة؛ ولذلك خطر لي أن من المحتمل جدا أن يكون السيد "**أوستاس**" هو ذلك "**الكولونيل**" الغامض الخفي.

وخرجت مسرعا من مكتب السماسرة، وتعقبت "**كارتون**" حتى رأيته ينزل إلى نفق القطارات الكهربائية، فدخلت وراءه ولكنه ما كاد يراني حتى بوغت، فقد كان يعتقد أنني في "**جنوب إفريقيا**"، فإذا بي منتصب أمامه في قلب "**لندن**"..!

وحدث عندئذ ما تعرفينه أنت يا "**آن**"، فقد اختل توازنه لهول المفاجأة وسقط فوق القضبان المكهربة فصعقته ومات لساعته. ولما نقلوه إلى الرصيف تقدمت أفحصه مدعيا أنني طبيب، إذ كنت أعتقد أن الألماسات التي تخصني في جيبه ولكنني لم أجد إلا لفافة وقصاصة من الورق دُوِّن عليها موعد في اليوم الثاني

والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) في الباخرة "**قصر كيلموردن**" . وعند مغادرتي المحطة وقعت الورقة من يدي والتقطتها أنت ، فكانت هذه القصاصة هي بداية مغامرتك كما ذكرت لي .

واستطرد "**هاري**" يقول :

وتبعت "**نادينا**" إلى الفندق ورأيتها تتغدى ، ثم تعقبتها إلى "**ڤيللا الطاحونة**" في "**مارلو**" ، وزعمت لحارسة البيت أنني صديق لها ولكنني تخلفت عنها في مكتب البريد بضع دقائق لأبعث ببرقية .

على أنني ما كدت أدخل إلى الڤيللا حتى رأيت "**نادينا**" أمامي مسجاة على الأرض جثة هامدة . وأسرعت بالفرار ولكن أوصافي عرفت ، وجد رجال الشرطة في البحث عني ، وهكذا نجح "**الكولونيل**" مرة أخرى في أن يلصق بي تهمة أنا بريء منها .

وبقيت بضعة أيام مختفيا متواريا عن الأنظار . واتفق في خلال ذلك أن سمعت طرفا من حديث يدور بين أحد رجال وزارة الخارجية والسيد "**أوستاس بيدلر**" . وعرفت من هذا الحديث أنه مسافر إلى "**جنوب إفريقيا**" ، فذهبت إلى منزله ، وزعمت عنده أنني موفد إليه من وزارة الخارجية لأصحبه في رحلته بصفتي سكرتيرا له ، فجازت عليه خدعتي وصحبني معه ، وبذلك تسنى لي أن أغادر "**إنجلترا**" آمنا مطمئنا مستظلا بحمايته ، ودون أن يخطر ببال أحد أنني "الرجل ذو السترة الرمادية" الذي يجدُّ جميع رجال الشرطة بعقبه .

وقاطعته بقولي :

– هل عرفت يا ترى أن "**جاي باجيت**" كان موجودا في "**مارلو**" يوم وقوع الجريمة ..؟

فأجاب "**هاري**" :

– لا .. فقد كنت أعلم أنه في "**كان**" في صحبة مولاه السيد "**أوستاس**" .

فقلت :

– لقد كان المفترض أنه في "**فلورنسا**" في مهمة ما ، ولكنني متأكدة أنه كان في "**مارلو**" .

فقال "**هاري**" :

– الأمر واضح إذن .. لقد اختاروا "**ڤيللا الطاحونة**" مكانا للمقابلة لأن "**باجيت**" يستطيع أن يتردد عليها في أي وقت دون أن يثير وجوده الشبهات .

وأردف "**هاري**" وفي صوته نبرة من اليأس :

– وهكذا آلت جهودي كلها إلى الفشل .. لقد كنت أسعى إلى الاستيلاء على الماسات التي سرقت مني ، ولكن الوحيدين اللذين يعرفان مكانها قضيا نحبهما فـ"**كارتون**" صعقته القضبان المكهربة ، و"**نادينا**" خنقت في "**ڤيللا الطاحونة**" .

- 25 -

حين فرغ "**هاري**" من قصته قلت له :

– والآن أظن أنه يحسن بك أن تصغي إلى روايتي .

ورويت له جميع الأحداث التي سبق أن عرفها القارئ حتى الآن . وكان الذي أدهشه أن يعرف أن الألماسات التي كان يلهث وراءها كانت في حوزتي ، أو بعبارة أدق في حوزة "**سوزان**" .

وبدا عند هذا أن من الهين تبرئة "**هاري**" من التهمة الخاصة بسرقة الألماس ، ولكن الشيء الذي بدا مستحيلا هو تبرئته من تهمة قتل الراقصة "**نادينا**" .

ومن جديد عاد السؤال يتردد بيننا : من هو "**الكولونيل**" ؟ أيمكن أن يكون "**جاي باجيت**" ..؟

وقال "**هاري**" :

– كان يمكن أن أقطع بأن "**باجيت**" هو الكولونيل لولا شيء واحد .. إن الذي يبدو مؤكدا حتى الآن هو أن "**باجيت**" هو الذي قتل "**نادينا**" في "**ڤيللا الطاحونة**" فإن إنذارها بالوشاية بالزعيم مشكلة لا يمكن أن يحلها إلا الزعيم

نفسه، فلابد إذن أن يكون هو الذي تواعد معها على اللقاء في الڤيللا ، ليناقش الأمر معها بنفسه ، وعندئذ قتلها . ولكن الشيء الذي يضعف من هذا الفرض هو محاولة اغتيالك في أول ليلة وصلت فيها إلى هذه البلاد .. إنك رأيت بنفسك "**باجيت**" يتخلف في "**كيب تاون**" ، فمن المستحيل ، إذن أن يصل هنا قبل الأربعاء القادم ، فكيف يمكن أن يوجد هنا وفي "**كيب تاون**" في وقت واحد ..؟ كما أن من المستحيل أن يبعث خطابا إلى أحد أعوانه يأمره بقتلك لان الخطاب لن يصل أيضا إلا يوم الأربعاء القادم .. بقيت وسيلة واحدة هي أن يبرق إلى مساعده، وواضح أنه لا يمكن أن يضمن البرقية أمرا بالقتل . ولهذا فإنني استبعد ان يكون "**باجيت**" هو الكولونيل.

وسادنا الصمت برهة ثم قال "**هاري**" :

- إنك ذكرت لي أنك عند مغادرتك الفندق إلى الشلالات كانت "**بلير**" نائمة في غرفتها ،وكان السيد "**أوستاس بيدلر**" في جناحه يملي بعض الخطابات على سكرتيرته الآنسة "**بيتجرو**" وهما يتبادلان الحديث . فأين كان الكولونيل "**ريس**" ..؟ إنه لم يكن في غرفته .

- هل يعتقد أننا ، انت وأنا ، على صلة طيبة .

- هذا ما أظنه ... ولكنني أستبعد أن يكون الكولونيل "**ريس**" هو زعيم المنظمة الإرهابية الملقب "**بالكولونيل**" ، فإنه من رجال المخابرات .

فضحك "**هاري**" في سخرية وقال :

- وأنى لك أن تعرفي هذا على وجه اليقين ...؟ لعله هو نفسه الذي بذر بذور هذه الشائعة ليغطي بها تحركاته الملتوية وتنقله بين مختلف البلاد ، وكذلك ليدرأ عن نفسه الشبهات إن خطر لاحد أنه "**الكولونيل**" .

واستطرد "**هاري**" :

- ولا تنسي أنه كان موجودا في "**جنوب إفريقيا**" عند وقوع حادث سرقة الألماسات .

فتساءلت :

- إذن فما هو موقف "**باجيت**" ..؟ أهو من أعوان الكولونيل ..؟

- محتمل .. وغير محتمل .. هل حدثك "**باجيت**" بنفسه عن عينه المتورمة وعن تلك الليلة التي حاول فيها أن يقتلك ؟

- كلا .. لقد كان السيد "**أوستاس بيدلر**" هو الذي روى لي هذه القصة .. لقد قال لي إن "**باجيت**" رأى شبح رجل في منتصف الليل يأتي من ناحية مقصورة السيد "**أوستاس**" فتعقبه إلى سطح الباخرة ، فما كان من الشبح إلا أن لكمه وطرحه أرضا ، و"**باجيت**" يعتقد أن من هاجمه هو الكولونيل "**ريس**" .

فقال "**هاري**" :

- والذي يمكن أن نستخلصه من هذه الرواية هو أن الكولونيل "**ريس**" هو الذي حاول أن يلقي بك إلى البحر ، فلما فشل دار حول سطح الباخرة ، والتقى بـ"**باجيت**" فصرعه أرضا ، ثم جاء إليك زاعما أن "**باجيت**" هو الذي حاول أن يقتلك .

فقلت معترضة :

- ولكن "**باجيت**" يؤكد أنك أنت الذي اعتديت عليه وليس الكولونيل "**ريس**" .

- تعليل هذا الادعاء سهل .. لنفترض انه عندما أفاق من إغمائه لمحني أسير في أقصى الممشى ، فمن الطبيعي أن يقع في روعه أنني أنا الذي اعتديت عليه .

فقلت :

- هذا محتمل ... ولكن هناك أشياء أخرى تحتاج إلى تفسير .

- لعلك تعنين أن الرجل الذي كان يتعقبك في "**كيب تاون**" خرج فجأة من مشرب الشاي ووقف يتحدث إلى "**باجيت**" ، وأن "**باجيت**" تطلع في ساعته قبل أن يتابع طريقه . واعتقدت عندئذ أن مطاردك تلقى أمرا من "**باجيت**"

بأن يستدعي الشرطي ويتهمك بنشل حافظة نقوده . فلم لا يكون هذا اللقاء متعمدا لإلقاء الشبهات على "**باجيت**" ، وأن مطاردك لم يتلق منه أية تعليمات، وأن كل ما فعله هو أنه سأل "**باجيت**" عن الوقت؛ ولذلك تطلع في ساعته .

– إذن فأنت تعتقد أن "**باجيت**" بريء، وأن هناك من يحاول أن يدمغه بالشبهات ..؟

– لا أستطيع أن أدلي بجواب قاطع إلا إذا عرفت أولا ما الذي كان يفعله في "**مارلو**" يوم مصرع الراقصة "**نادينا**" ، فإن قدم تفسيرا معقولا فهو بريء من قتلها .

نهض "**هاري**" واقفا وهو يقول :

– والآن اذهبي إلى فراشك يا "**آن**" ، وغدا تستيقظين مبكرة لتشرعي في رحلة العودة إلى "**إنجلترا**" .

ولم يكن في نيتي قط أن أهرب من الميدان ، ولكني لم أشأ أن أناقشه الأمر إذ ذاك .

وأيقظني في الصباح قبل أن تشرق الشمس وقال :

– هيا استعدي .. سندع القارب البخاري حتى لا ينبه دوي محركه الناس ، وإنما سنستقل القارب الصغير فإنه ...

ولكنه أمسك عن إتمام عبارته وهمس :

– انصتي .. ما هذا ..؟

وأرهفنا السمع معا ... كان هناك صوت مجاديف تضرب الماء .

وخرجنا إلى باب الكوخ وحدقنا إلى الظلام ولمحنا قاربا يدنو من الشاطئ ، فسحبني من ذراعي وهو يقول :

– فلنعد إلى الكوخ .. يبدو أن "أصحابنا" اكتشفوا مخبأك .

وأوصد باب الكوخ ونافذته ، وانتزع مسدسا وبندقيتين من فوق الجدار ، وجاء بصندوق مليء بالرصاص ، وأراني كيف أحشو البندقية ، ووقف متربصا عند

النافذة يرقب ما سوف يحدث .

وسمعنا خشخشة الأعشاب وأوراق الشجر ووقع أقدام تقترب . ورأيت الهولندي الملتحي على رأس جماعة من الرجال، ذلك الهولندي الذي انتحل صفة أمين المتحف ودعاني إلى زيارته ، ثم اعتقلني .

وصاح "**هاري**" من وراء النافذة :

– من هناك ..؟ من القادم ..؟

وكان الرد الذي تلقيناه سيلا من الطلقات النارية انصبت على نافذة الكوخ وجدرانه .

وصوب "**هاري**" بندقيته ، وأحكم الهدف ، ثم أطلق النار ، وطاشت الرصاصة الأولى ، ولكننا سمعنا صرخة مدوية عقب الرصاصة الثانية . وتوالى تبادل الطلقات ، وكلما فرغت بندقيته ناولته البندقية الثانية بعد أن أحشوها . وسمعنا صرخة ثانية ، ثم كف أعداؤنا عن إطلاق النار .

واختلس "**هاري**" نظرة من النافذة وقال :

– إنهم ينسحبون ... ولكنني أعرف أنهم سيعودون وفي هذه المرة سيعودون في جمع كبير يحاصر الكوخ من جميع الجهات ، فعلينا أن نبادر بالهرب قبل أن يعودوا .

وأخذ "**هاري**" من أحد الأركان صفيحة ملأى بالبترول ، وصبها في أنحاء الكوخ وفوق سطحه .

وما كدنا نبتعد حتى رأينا جمعا كبيرا يقترب من الكوخ ، وهم يطلقون النار ، وفي اللحظة نفسها اندلعت النيران في الكوخ بسبب الطلقات النارية التي أشعلت البترول وأخذنا نجري بكل قوتنا هاربين .

ولمحت وأنا التفت إلى الوراء شبح شخصين فوق سطح الكوخ وقد أمسكت النار بثيابهما .

وأمسكت بذراع "**هاري**" وقلت له في ذعر :

– انظر . . ! فوق سطح الكوخ شخصان يحترقان .

فضحك قائلا :

– لا عليك من هذا . . . اطمئني . . إنها مجرد ثياب حشوتها بالوسائد والخرق البالية وجعلتها على شكل الإنسان حتى يعتقد أعداؤنا أننا احترقنا مع الكوخ فيكفوا عن مطاردتنا .

✿✿✿✿✿

كانت الرحلة شاقة مرهقة ، ونحن نضرب في الأحراش والمستنقعات ، ونغوص في الطين والأوحال ، وإذا ما أدركني التعب حملني **"هاري"** على كتفه كأنني طفلة صغيرة ، حتى انتهينا إلى صديقه **"نيدفي ليفنجستون"** ، وقد طلع نور الصباح وغمر الأرض بضيائه .

وقدم إلينا **"نيد"** طعاما شهيا وأقداح القهوة الساخنة ، ثم أوفده **"هاري"** يستفسر عن جماعة السيد **"أوستاس بيدلر"** ، وهل مازالوا في الفندق أم رحلوا عنه، وحذره من أن يشير إلى اسمي بكلمة واحدة .

وعندئذ صارحت **"هاري"** بما في نفسي ، وإنني لا أنوي أن أعود إلى **"إنجلترا"** . وبعد نقاش ولجاج وافق على أن أبقى مختبئة في بيت صديقه فترة وجيزة بعد رحيله ، ثم ألحق بصديقتي **"سوزان"** حيثما تكون ، وأبقى في صحبتها في انتظار تعليماته ، وأن نبادر بإيداع الألماس في إحدى خزائن البنك .

وقال لي :

– والآن فلنتفق على شفرة سرية نوقع بها رسائلنا حتى لا يدس علينا أحد خطابا مزورا ويستدرجنا إلى كمين . فأي خطاب أكتبه إليك أو تكتبينه إليّ يجب أن يتضمن حرف **"واو"** مشطوبا ، أي أن علينا أن نكتب حرف **"الواو"** في أي موضع من الخطاب ثم نشطبه . وهذا معناه أن الخطاب سليم غير مدسوس علينا وأنه صادر منك أو مني . أما البرقيات فنوقعها باسم **"آندي"** .

فقلت :

– فإذا جاءتني أو جاءتك غير مذيلة بهذا التوقيع كانت مزورة .

وعندما آذن موعد القطار بالرحيل ضمني **"هاري"** إلى صدره وطبع على شفتي قبلة وحشية وقال :

– اعلمي أنك إن تزوجت غيري يا **"آن"** فلن أتردد في أن أقتله . وسيكون اتهامي بالقتل في هذه المرة صحيحا غير ملفق .

- 26 -

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

إنني رجل محب للسلام والهدوء ، ومع ذلك فقد كنت دائما أجد نفسي –على كره مني– في غمار المشاكل والاضطرابات .

فأولا لدي سكرتيري **"باجيت"** الذي تدل تصرفاته على الغموض وتثير الشكوك .

وفي أول ليلة وصلنا فيها إلى مدينة الشلالات فوجئت بعد منتصف الليل بالسيدة **"بلير"** تقتحم غرفتي وهي تصرخ في وجهي :

– أين **"آن بيدنجفيلد"** ؟

وأكدت لها أنني لم ألتهمها بعد العشاء ، وإن تمنيت أن أفعل ذلك ، فإنها في الواقع ليست مخلوقا بشريا وإنما هي قطعة لذيذة من الحلوى . ثم أردفت :

– المفترض أنها الآن راقدة في فراشها .

فقالت :

– هذا هو المفترض ، ولكنها ليست في مخدعها ، وفراشها لم يمس .

– هل سألت عنها الكولونيل **"ريس"** . . ؟

– إنه هو الآخر غير موجود في غرفته .

– إذن فالأمر واضح . . لقد خرجا يتمشيان معا . . ألم تلاحظي أنه يميل إليها؟

ولكن الكولونيل "**ريس**" دخل علينا في هذه اللحظة ، وأكد لنا أنه لم ير "**آن بيدنجفيلد**" منذ ساعة العشاء .

وأثرنا ضجة في الفندق ، ومضينا نستفسر عن الفتاة وتحركاتها وعرفنا من الخدم أنها غادرت الفندق وحدها عند منتصف الليل وهي مرتدية ثيابها كاملة ، واتخذت طريق الشلالات . وعلى ضوء المشاعل خرجنا نبحث عنها ، ولكننا لم نهتد إلى شيء ، فأرجأنا البحث إلى الصباح .

واهتدينا بالفعل إلى أثر حذائها بالقرب من الفندق ، فقد استعنا بنفر من قصاصي الأثر . . واستطاعوا أن يتتبعوا خطواتها إلى نهاية الجسر المفضي إلى الشلالات ، ثم انطمست معالم حذائها وسط عشرات من آثار الأحذية إذ زار المنطقة في الصباح الباكر بعض السائحين فاختلطت الآثار بعضها ببعض وقلت :

– ليس هناك إلا تفسير واحد . . إنها فتاة خيالية تعيش في الأحلام ، ولعلها أرادت أن تشاهد الشلالات في الليل ، فأخطأت الطريق لشدة الظلام وسقطت في الهاوية ، وجرفها تيار الشلالات .

كانت ملاحظة بريئة ومنطقية ، ولكن شفتي ما كادتا تنفرجان عنها حتى أخذت السيدة "**بلير**" تولول وتنوح ، في حين اكفهر وجه الكولونيل "**ريس**" وعلاه الوجوم .

وبالأمس سرت شائعة بأن هناك جزيرة منعزلة وسط النهر على مسافة قريبة من المدينة ، وأن في هذه الجزيرة رجلا وفتاة يعيشان معا . وقيل إن الرجل كان يعيش في هذه الجزيرة منذ أعوام ، وأن لديه قاربا يؤجره للسائحين ليطوف بهم ضفاف النهر . أما الفتاة فلم يسمع أحد بوجودها إلا في الأيام الأخيرة . فهل تكون هذه الفتاة يا ترى هي "**آن بيدنجفيلد**" ، وأنها وقعت في غرام هذا الرجل فذهبت لتعيش معه . . . إذا كان الأمر كذلك فلا شك في أن "**ريس**" سيبذل قصارى جهده للتحري والاستفسار ونار الغيرة تتأجج في صدره .

وأخيرا قررت أن أسافر إلى "**جوهانسبرج**" ، وكان "**ريس**" لا يفتأ يحثني على

ذلك . وبلغني أن الحال سيئة هناك ، وأن الاضطرابات قد بدأت ، فلما تناهت هذه الأنباء إلى السيدة "**بلير**" عدلت عن السفر وقررت أن تبقى في مدينة الشلالات ، وجاءت ترجوني أن أحمل معي تذكاراتها ، ولكنني ترددت فاتفقنا أخيرا أن آخذ معي صندوقين صغيرين ، أما الدمى الخشبية التي اشترتها من مختلف المحطات فتشحن في صناديق كبيرة ترسل إلى "**كيب تاون**" بطريق السكة الحديد حيث يتولى "**باجيت**" إيداعها في أحد المخازن ريثما تحين ساعة العودة إلى "**إنجلترا**" .

وهكذا سافرت إلى "**جوهانسبرج**" تصحبني سكرتيرتي الآنسة "**بيتجرو**" بوجهها الدميم الذي لا يطاق .

- 27 -

حل اليوم السادس من شهر آذار (مارس) وتراءت في الجو نذر الثورة ، وبدأت "**جوهانسبرج**" تغلي فوق بركان ، وأقسم العمال أن يضربوا عن العمل ، وأنهم لن يعودوا إلى مصانعهم إلا إذا خضع أرباب العمل لشروطهم . وكانت المدينة على حال سيئة من الفوضى ، فدوي الرصاص يُسمع ، والطعام شحيح في الفنادق . وفي الصباح زارني أحد مديري الشرطة ، وأخذ يحدثني عن مكانتي الاجتماعية ، وأن الحكومة حريصة على سلامتي ؛ ولذلك فهو يطالبني بالسفر فورا إلى "**بريتوريا**" حتى أكون بمنجاة من المظاهرات ومن الطلقات النارية التي تطير في الهواء وأوضحت له في عناد أنني لن أسافر إلى "**بريتوريا**" ، وأنني جئت إلى هذه البلاد لأدرس أحوالها الاقتصادية وأجري تحقيقا في أسباب الإضراب .

وطال بنا النقاش ، ولم يكن في وسعه أن يرغمني على السفر إلى "**بريتوريا**" ، فاضطر أخيرا إلى الرضوخ لرأيي ، وسلمني تصريحا يخول لي الحق في دخول المدينة .

وما كاد مدير الشرطة ينصرف حتى جاءتني برقية من "**كمبرلي**" مذيلة باسم السيدة "**بلير**" ، هذا نصها :

"**آن بيدنجفيلد**" بخير .. إنها معي الآن في "**كمبرلي**" .

وادهشتني هذه البرقية إذ كنت أعتقد أن هذه الفتاة وقعت في الشلالات وجرفتها المياه .

الحق أنها فتاة عجيبة ..! كم من مرة استهدفت للخطر وللموت ، ثم إذا بها تبعث من جديد ، كأنما لم يصبها شيء .

وتناولت قبعتي ، وخرجت أطوف بالمدينة لأشتري بعض التذكارات ، وبينما أنا واقف أمام أحد متاجر التحف أدير عيني فيما هو معروض في واجهته ، إذا برجل يخرج فجأة من المتجر ويكاد يصطدم بي . ولشدة دهشتي كان هذا الرجل هو الكولونيل "**ريس**" .

وقلت له :

– لم تكن لدي أية فكرة عن وجودك في "**جوهانسبرج**" .. متى وصلت إلى هذه المدينة ..؟

فأجاب في اقتضاب وخشونة :

– مساء أمس .

– وأين تقيم ..؟

وباللهجة نفسها الجافة المقتضبة أجاب :

– مع بعض الأصدقاء .

وبدا عليه في وضوح أنه ضاق بأسئلتي .

وقلت له :

– أرجو أن تكون لديهم مزرعة للدجاج، فقد بلغني أن الطعام شحيح في هذه المدينة .

وتمشينا معا ، فلما بلغنا فندقي قلت له :

– بالمناسبة .. هل بلغك يا ترى أن الآنسة "**آن بيدنجفيلد**" على قيد الحياة .

فأومأ برأسه إيجابا دون أن يتكلم ، فقلت مستطردا :

– لقد أثارت هذه الفتاة رعبنا ، ولكن أين كانت بحق السماء .. ؟ هذا ما أود أن أعرفه .

فأجابني "**ريس**" :

– كانت تعيش في إحدى الجزر في نهر "**زمبيزي**" .

– لعله ذلك الصديق الذي قالت إنه كان ينتظرها في "**ديربان**" ..؟

فأجاب :

– لا .. إنه شخص آخر .. إنه ذلك الرجل الذي نتمنى جميعا أن نقبض عليه .

فقاطعني بقوله :

– نعم .. "**هاري رايبورن**" بعينه ، أو "**هاري لوكاس**" ، فهذا هو اسمه الحقيقي .. لقد استطاع أن يفلت مرة بعد مرة ، ولكن الحلقة الآن تضيق حوله، ولن يلبث أن يقع في قبضة الشرطة .

فتساءلت :

– والفتاة ..؟ "**آن بيدنجفيلد**" ..؟ أهي شريكة له ...؟

فأجاب :

– لا .. كل ما هنالك أن ما بينهما لا يعدو أن يكون علاقة غرامية .

ثم أردف يقول :

– لقد سافرت إلى "**بيرا**" .

فحملقت إلى وجهه دهشاً وقلت :

– حقا ..؟ وكيف عرفت ..؟

فأجاب :

– لقد بعثت إلي بخطاب من "**بولاوايو**" ذكرت فيه أنها راجعة إلى "**إنجلترا**" ..

فقلت :

– أما أنا فأعلم عن يقين أنها ليست في "**بيرا**" :

فقال الكولونيل "**ريس**" في إصرار :

– عندما كتبت إليّ كانت توشك أن تسافر إلى "بيبرا" وبدا الأمر عجيبا .. إما أن تكون السيدة "**بلير**" كاذبة ، وإما أن تكون "**آن بيدنجفيلد**" هي الكاذبة .

وقلت له وأنا أطلعه على البرقية التي جاءتني من السيدة "**بلير**" :

– إذن ما رأيك في هذه البرقية ..؟

وألقى نظرة سريعة إلى البرقية ، ثم غمغم :

– "**كمبرلي**" ..؟ هذا عجيب .. ما الذي تفعلانه هناك في "**كمبرلي**" ..؟

ثم استأذن في الانصراف متعجلا ، وعلى وجهه سمات التفكير والشرود .

*****

ما كاد الكولونيل "**ريس**" ينصرف حتى جاء مدير الشرطة مرة أخرى لزيارتي . قال :

– يؤسفني يا سيد "**أوستاس**" أن أزعجك مرة أخرى ، ولكني جئت لأمر يتعلق بسكرتيرتك .

فقلت ضاحكا :

– ما شأنها .. ؟ هل أهانها أحدهم فوصفها بالجمال ..؟

فقال :

– لقد شوهدت تغادر متجر التحف الذي يملكه "**أجراساتو**" .

فقلت :

– وأي شيء في هذا ..؟ لقد هممت أنا نفسي بدخول هذا المتجر اليوم ، فهل كنت تنوي أن تقبض عليّ إن رأيتني خارجا منه .

فقال :

– لقد شوهدت سكرتيرتك تتردد على هذا المتجر أكثر من مرة ، وتغيب في داخله طويلا .

ثم أردف هامسا :

– إن لدينا يا سيد "**أوستاس**" معلومات سرية مؤكدة بأن هذا المتجر هو مقر المنظمة السرية التي تدعو إلى الثورة وإسقاط الحكومة ، ولعل سكرتيرتك عضو في هذه الجماعة ، فكيف التحقت بالعمل لديك ..؟

فأجبته في برود :

– إن حكومتك هي التي رشحتها للعمل لدي .

وحين سمع جوابي كاد يسقط مغشيا عليه .

- 28 -

("آن بيدنجفيلد" تكمل سرد قصتها)

ما إن حللت بـ"**كمبرلي**" حتى أبرقت إلى "**سوزان**" بوصولي ، فهرعت إليّ من فورها دون أن تتريث ساعة واحدة ، وما إن رأتني حتى ارتمت على صدري ، وراحت تغمرني بالقبلات ، وعبراتها تنهمر على وجنتيها .

ولما تمالكنا جأشنا ، طلبت إليّ أن أسرد عليها تفاصيل الأحداث التي مرت بي .

ولما فرغت من قصتي قالت لي :

– إذن فقد وقعت في حب هذا الرجل البدائي المتوحش الذي يعتزل الناس في جزيرة نائية ..؟ لقد كنت معجبة بالكولونيل "**ريس**" وأعرف أنه يميل إليك، ولكم تمنّيت أن تتخذيه زوجا لك .

وساد الصمت بيننا برهة ، ثم قالت "**سوزان**" :

– اسمعي يا "**آن**" ... عندما بدأت أشك في الكولونيل "**ريس**" وأن من المحتمل أن يكون هو "**الكولونيل**" الغامض أقلقني أمر الماسات ،وخشيت أن يفطن بطريقة ما إلى أنها موجودة معي فيسلبها مني . وقد حرت في الأمر ولم أدر أين أخفيها . ثم خطرت لي فكرة .

ثم مالت فوق أذني وهمست تحدثني عما فعلته بالألماسات وأين أخفتها ، فقلت مؤمنة :

– لقد أحسنت صنعا . . ولكن ما الذي فعله السيد **"أوستاس بيدلر"** بالصناديق..؟

فقالت **"سوزان"** :

– كلا . . لقد أمر بالصناديق الكبيرة أن تشحن إلى **"كيب تاون"** ، وقد أخبرني **"باجيت"** قبل أن أغادر مدينة الشلالات أن الصناديق أودعت أحد المستودعات العامة ، كما علمت منه أنه سيسافر اليوم إلى **"جوهانسبرج"** لكي يلحق بالسيد **"أوستاس"** .

وسألتها :

– والصناديق الصغيرة . . ؟ أين هي ؟

– أعتقد أنها مع السيد **"أوستاس"** وأنه ضمها إلى متاعه .

وعدت أسألها :

– إذن فـ**"باجيت"** سيسافر اليوم إلى **"جوهانسبرج"** ..؟

– هذا هو ما أخبرني به .

– حسنا . . لابد لي من مقابلته على رصيف المحطة عند مرور قطاره بها .

– وما الذي تبغين منه ..؟

– أريد أن أوجه إليه سؤالا .

– يا إلهي . .! لابد أنه سؤال خطير ..؟

– بل هو أخطر سؤال مر بذهني .

وعلمت من مكتب الاستعلامات أن القطار سيمر بمدينة **"كمبرلي"** في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي ، فيتوقف في محطتها عشر دقائق ثم يتابع مسيرته إلى **"جوهانسبرج"** .

ورقص قلبي طربا حين تلقيت في اليوم نفسه برقية من **"هاري"** يقول فيها :

(وصلت سالما . . كل شيء يسير على ما يرام . . **"إيريك"** هنا وكذلك **"أوستاس"** ، أما **"جاي"** فلا . . ابقي مع **"سوزان"** في الوقت الحاضر – **"آندي"** .)

و**"آندي"** هو التوقيع الشفري الذي اتفقنا أن نوقع به برقياتنا حتى نتأكد أنها صحيحة غير مدسوسة علينا . أما **"إيريك"** فهو الاسم الرمزي الذي اتفقنا على استعماله بدلا من اسم الكولونيل **"ريس"** .

وقضيت ساعات الفراغ كلها أتبادل الحديث مع **"سوزان"** . إذ لم يكن لدي ما أفعله .

وبعد ظهر اليوم التالي وقد فرغنا من تناول الغداء سألتني **"سوزان"** :

– أتحبين أن أصحبك عند ذهابك لمقابلة **"باجيت"** ..؟

فأجبتها :

– لا . . . إني أوثر أن ألقاه وحدي فقد يتحرج من أن يفضي إلي بما في نفسه أمام شهود .

وقبيل موعد وصول القطار بدقائق كنت واقفة على رصيف المحطة أتلهف إلى اللقاء المرتقب ، والسؤال الذي سأوجهه إلى **"باجيت"** ، وهل سيجيب عنه أم يرفض الإجابة وما عسى يكون جوابه ..؟

وجاء القطار يتهادى على مهل ، ونزل **"باجيت"** من المركبة ليتمشى قليلا على الرصيف ، والقاني منتصبة أمامه وجها لوجه .

وحملق إلي دهشا وهتف في ذهول :

– الآنسة **"بيدنجفيلد"** ..؟ لقد فهمت أنك اختفيت . .

فقلت في رزانة وهدوء :

– وهأنذا قد عدت إلى الظهور مرة أخرى . . . ولكن كيف حالك يا سيد **"باجيت"** .

– بخير . . . شكرا لك . . هل تنوين العودة إلى خدمة السيد **"أوستاس**

بيدلر " . . ؟

فقلت :

– لا . . . لقد جئت إلى المحطة خصيصا لمقابلتك أنت . .إنني أريد أن أوجه إليك سؤالا . . هو سؤال يسير ، ولكن تتوقف على الإجابة عنه نتائج خطيرة . . . إنني أريد أن أعرف ما الذي كنت تفعله في " **مارلو** " في اليوم الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) أي يوم مصرع تلك المرأة الأجنبية في " **ڤيللا الطاحونة** " . . ؟

وأجفل " **باجيت** " وارتعدت أوصاله .

– أهذا هو السؤال يا آنسة " **بيدنجفيلد** " . . ؟ الواقع أنني . .

فقاطعته حتى لا يغرقني بسيل من الأكاذيب :

– إنك كنت هناك . . في " **مارلو** " . . أليس كذلك . . ؟

فأجاب :

– بلى . . كنت هناك . . لأسباب شخصية بحتة تتعلق بي وحدي .

– ألا يمكن أن تصارحني بهذه الأسباب . . ؟

فسألني :

– ألم يذكر لك السيد " **أوستاس** " هذه الأسباب .

فقلت في دهشة :

– السيد " **أوستاس** " ؟ أتراه يعرفها ؟

فأجاب :

– بالتأكيد . . بكل تأكيد . . . وإن تمنيت ألا يكون قد رآني . . ولكني كنت أشعر دائما أنه لمحني وعرفني ، فقد كان دائما يغمزني في أحاديثه ويبدي من الملاحظات العابرة ما جعلني متأكدا من أنه يعرف . ومع ذلك فقد كنت أنوي أن أصارحه بكل شيء ، ثم أقدم إليه استقالتي .

لم أكن في الواقع أدرك ما يتحدث عنه " **باجيت** " ، ولكني تركته يسترسل لا

أقاطعه لعل لسانه يفلت بالرد الذي أتلهف إليه .

ومضى يقول :

– إني أعرف أني كنت مخطئا ، ولكن رجلا من طراز السيد " **أوستاس** " لا يمكن أن يقدر موقفي أو يصفح عني .

فقاطعته في كلمات سريعة إذ كنت أخشى أن يتحرك القطار قبل أن أنتزع منه ما أريد :

– ولكنك لم تذكر لي بعد السبب في وجودك في " **مارلو** " في ذلك اليوم . . ؟

وقال :

– عفوا يا آنسة " **بيدنجفيلد** " . . . لقد أوشك القطار أن يتحرك .

وقفز إلى مركبته ، وبدأ القطار يتحرك ، وجريت بجانب النافذة وأنا أردد :

– ما سبب وجودك في " **مارلو** " في ذلك اليوم . . ؟

وقال :

– إني أشعر بالخجل . . . .

– أرجوك أن تتكلم . . . . إن الأمر مهم جدا .

وتكلم " **باجيت** " . . . . وعرفت السبب .

- 29 -

(من مذكرات السيد " أوستاس بيدلر ")

في اليوم السابع من شهر آذار (مارس) وصل " **باجيت** " إلى " **جوهانسبرج** " ، وكان مذعورا لفرط خوفه من الأحداث الدامية التي تجري في هذه المدينة . وقد اقترح علي أن نبادر إلى السفر إلى " **بريتوريا** " تفاديا للأخطار ، ولما رددت عليه في حزم بأن نيتي قد استقرت على البقاء في " **جوهانسبرج** " ، وإنني لن أبرحها مهما ساءت الأحوال ، رد عليّ بأنه يتمنى لو كان معه مسدسه الذي يحتفظ به منذ انتهاء الحرب حتى يشهره دفاعا عني .

ولم أجد وسيلة للخلاص من ثرثرته إلا بان أطلب منه أن يأتي بحقيبة الآلة الكاتبة ، وأن يشرع على الفور في نسخ مذكراتي بعد أن يذهب بها إلى أحد المكاتب لإصلاحها ، فقد تعودت كلما طلبت منه أن يكتب شيئا أن يرد علي بان بالآلة الكاتبة خللا .

ولكنه أجابني على الفور :

– لقد أصلحتها وأنا في مدينة الشلالات ، فقد فتحت جميع الحقائب والصناديق ونسقت محتوياتها .

– يا إلهي ...! إنك دائما تأتي تصرفات تنطوي على الحماقة ..! ألا تعلم أن الصناديق الصغيرة خاصة بالسيدة "**بلير**" ..؟ فما شأنك حتى تعبث بحقائبها؟

فقال معتذرا :

– إني آسف .. آسف جدا .

ورأيت أن أتخلص منه في فترة الصباح فقلت :

– والآن اخرج وتريض قليلا وشاهد معالم المدينة فقد تندلع الثورة ، وبعدها ستجد المدينة خرابا .

وحين استدار يهم بالانصراف ناديته وقلت له :

– وبهذه المناسبة ... ما محتويات الصناديق الصغيرة الخاصة بالسيدة "**بلير**" ..؟

فأجاب :

– سجاجيد صغيرة من الفراء .

فقلت معقبا :

– لقد رأيتها تشتريها كلما توقف القطار في إحدى المحطات .. وماذا أيضا ..؟

– لفافات بعض الأفلام ومجموعة كبيرة من السلال الملونة المختلفة الأشكال ،

وقفازات قديمة .

فقلت :

– ولكن ألم يخطر لك فور أن فتحت أول صندوق أن مثل هذه الأشياء لايمكن أن تخصني ؟

– لقد ظننت أنها تخص الآنسة "**بيتجرو**" .

فقلت :

– وبمناسبة ذكر الآنسة "**بيتجرو**" .. من أين جئتني بهذه السكرتيرة المشبوهة...؟

وحدثته بما رواه لي عنها مدير الشرطة ، وكيف أنها شوهدت مرارا تتردد على محل للتحف يعتقد رجال الشرطة أنه مقر اجتماعات المنظمة السرية القائمة بالتحريض على الثورة . فرد "**باجيت**" بانه لا يعرف عنها شيئا أكثر من أنه ذهب إلى الغرفة التجارية ليبحث عن سكرتيرة مؤقتة لي فقدموها إليه .

وبدأ "**باجيت**" بعد ذلك يروي لي شيئا حدث على الباخرة "**قصر كيلموردن**" بشأن لفافة أحد الأفلام . وكان في أثناء الحديث يضطرب ويتلعثم ويعيد ويكرر ما قاله حتى كدت لا أفهم شيئا .

وأخيرا وبعد جهد وبعد أسئلة كثيرة وجهتها إليه خرجت بالخلاصة الآتية ، وهي أن وصيفا بالباخرة قذف بلفة أفلام إلى أحد المقاصير من خلال أنبوبة التكييف .

فقلت له :

– إنها قصة سخيفة لا تعنيني في شيء .

ولم أر "**باجيت**" إلا بعد موعد الغداء ، فقد جاءني مهرولا وفي وجهه أمارات الانفعال الشديد وقال لي إنه شاهد "**رايبورن**" في المدينة .

وهتفت به :

– ماذا تقول ..؟ هل أنت متأكد ..؟

فأجاب :

– نعم .. لقد لمحت على البعد شخصا يشبهه ، ولكني متاكد انه هو "رايبورن" بعينه .

فقلت :

– هذا عجيب .

واستطرد "باجيت" يقول :

– وهل تدري من الذي كان يتحدث إليه ..؟ إنها الآنسة "بيتجرو" ..!

– الآنسة "بيتجرو" ..؟ إني لا اصدق هذا .

– لقد رايتهما بعيني راسي يا سيد "أوستاس" يتبادلان الحديث .. وليس هذا فقط، بل رايتهما يدخلان معا محل التحف الواقع عند الناصية .

ورغما عني لم اتمالك إلا ان شهقت ، فتطلع إليّ "باجيت" في استغراب وسالني :

– ماذا حدث ..؟

فأجبت :

– لا شيء ..! لا شيء ..!

واستطرد "باجيت" :

– وقد انزويت في ركن من الشارع أترقب خروجهما من المتجر ، ولكنهما لم يخرجا ، فلم أتردد في دخول المحل ، ولكنهما لم يكونا موجودين به ، فلابد ان للمتجر بابا آخر لا أعرفه .

وسكت "باجيت" هنيهة فقلت أستحثه :

– وماذا أيضا ..؟ أهناك شيء آخر ..؟

– حين عدت إلى الفندق رأيت أن أقوم ببعض التحريات عن الآنسة "بيتجرو" .

ثم خفض صوته كما هو شانه كلما أراد أن يفضي بسر من الأسرار :

– نعم .. قمت ببعض التحريات فعلمت أن رجلا شوهد وهو يغادر غرفتها ليلا .

فغمغمت :

– هذا غير معقول يا "باجيت" ، فما من رجل يطيق أن ينظر لحظة إلى وجهها الدميم .

واستطرد "باجيت" وعيناه تبرقان انتصارا :

– ولم أتردد لحظة واحدة .. صعدت إلى غرفتها وفتشتها .

– وهل وجدت شيئا مريبا ..؟

– نعم .. وجدت هذا .

ودس يده في جيبه ، ثم بسطها إليّ وفيها آلة حلاقة وصابون حلاقة . وقال :

– ما حاجة المرأة إلى مثل هذه الأشياء ..؟

فقلت ضاحكا :

– لعل لها شاربين خفيفين تضطر إلى أن تحلقهما .

– إنك تبدو غير مقتنع يا سيد "أوستاس" .. ؟ إذن فما رأيك في هذه ..؟

وكانت "هذه" باروكة من الشعر .

وسالته :

– وأين عثرت على هذه الباروكة ..؟

– في غرفة الآنسة "بيتجرو" .. فهل اقتنعت الآن أن سكرتيرتك رجل متخف في زي النساء ..؟

– إذن فهذا هو السبب في ضخامة قدميها .. لقد لاحظت أن لها قدمين كبيرتين لا تتناسب مع قوام المرأة .

وران علينا الصمت برهة ، ثم قال :

– والآن أريد يا سيد "أوستاس" أن أكاشفك بسر يتعلق بي شخصيا .. لقد أدركت من غمزاتك وتلميحاتك بشان رحلتي إلى "فلورنسا" أنك اكتشفت أنني

لم أسافر إلى "**إيطاليا**" في أثناء هذه العطلة .

وقلت له :

– إذن حدثني بكل شيء يا "**باجيت**" ، واكشف لي سرك ....

وأردفت :

– هل ضايقك زوجها ..؟ هل فاجاك وأنت في أحضانها .

فتطلع إلي "**باجيت**" في دهشة وقال :

– زوجها ..؟ إنني غير فاهم يا سيد "**أوستاس**" ..

– زوج السيدة التي اتخذتها عشيقة لك ، فإن الأزواج يحضرون أحيانا في وقت غير مناسب .

– قلت لك يا سيد "**أوستاس**" إنني لم أسافر مطلقا إلى "**فلورنسا**" . إنني أعتقد يا سيد "**أوستاس**" أنك رأيتني وعرفتني ، وهذا هو السبب في تلميحاتك وغمزاتك عن رحلة "**فلورنسا**" .

فقلت في استغراب ودهشة :

– رأيتك ، وعرفتك ؟ ولكن بحق السماء أين رأيتك ؟

– لقد ذهبت إلى "**مارلو**" .

– "**مارلو**" .. ؟ وبحق السماء ما الذي دعاك إلى السفر إلى "**مارلو**" ..؟

– لأجل زوجتي وأولادي .

– زوجتك وأولادك ..؟ لقد كنت أعرف دائما أنك غير متزوج .

– هذه هي أكذوبتي يا سيد "**أوستاس**" ... وإني أعتذر عنها . ولكن كان لابد أن أكذب .

– منذ متى وأنت متزوج ..؟

– منذ ثمانية أعوام .

– ولكن لماذا كذبت عليّ ..؟

– إنك أعلنت يا سيد "**أوستاس**" عن حاجتك إلى سكرتير مقيم يشترط فيه

ألا يكون متزوجا . وقدمت إليك ، وكنت عندئذ غير متزوج ، والحقتني بالعمل لديك ، لكنني ما كدت أستقر في حياتي حتى بادرت إلى الزواج ، وخشيت أن أطلعك على ذلك فتفصلني من العمل ، فكتمت عنك أمر زواجي .

– يا إلهي ..! إذن فمنذ ثمانية أعوام وأنت تستغفلني ..! وكم ولد لديك ...؟

– أربعة يا سيد "**أوستاس**" وقد قابلت الآنسة "**بيدنجفيلد**" في أثناء قدومي إلى هنا، وسألتني عن سبب وجودي في "**مارلو**" .

– وهل رويت هذه الحكاية لأحد غيري ؟

– الآنسة "**بيدنجفيلد**" فقط فقد قابلتني في المحطة في "**كمبرلي**" .

وبعد سكتة قصيرة قال "**باجيت**" :

– لاشك أنك غاضب عليّ يا سيد "**أوستاس**" إذ كذبت عليك . ولا سبيل أمامي للتكفير عن أكذوبتي إلا بأن أقدم إليك استقالتي .

فقلت :

– لا داعي لأن تكفر ، ولا داعي لأن تستقيل .

بعد أن انصرف "**باجيت**" تملكتني رغبة قوية في أن أتجول قليلا في المدينة. ومررت بمحل التحف ، ودلفت إليه .

وهرول إليّ صاحبه وعرض عليّ بعض ما لديه ، فقلت له :

– إنني لا أريد شيئا من هذه التحف العادية التافهة ، وإنما أريد تحفة أصلية تحفة لا مثيل لها .

فقال :

– إن لدينا بالفعل تحفا أصلية ولكننا لا نعرضها إلا على الأخصاء من عملائنا... هل ... هل لك أن تتفضل بالدخول إلى الغرفة الخلفية من المتجر..؟ وفتح بابا في أحد الأركان ، ومشيت بعقبه إلى الداخل .

*****

- 30 -

("آن بيدنجفيلد" تروي بقية قصتها)

أطلعت "سوزان" على الخطاب الذي وصلني وعرضت عليها خطتي. فقالت "لا" ولكنني قلت «بل نعم».

ورجتني "سوزان"، ورفضت رجاءها، وتبذت توسلاتها وأخذت تبكي وهي تتضرع إليّ ولكنني لم أحفل ببكائها.

– ولكنك أيتها الحمقاء ستعرضين نفسك للقتل.

ولكنني ازددت عنادا وتشبثا. وألقيت إليها بتعليماتي. ووعدتني بأن تنفذها بكل دقة وقالت:

– أيتها الطفلة المجنونة.! في هذه المرة سيظفرون بك ويقتلونك.

ذهبت إلى الموعد المضروب في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي. طبقا لما ورد بالخطاب الذي وصلني ووجدت في انتظاري هولنديا قصير القامة له لحية سوداء مدببة، فدعاني إلى ركوب سيارة جاء بها معه. وانطلقت بنا السيارة في طريقها إلى مكان اللقاء.

وسمعت دوي طلقات نارية صادرة من بعيد فاستفسرت منه عن سببها، فأجاب:

– إنها دوي البنادق... لقد وقع شغب شديد في "جوهانسبرج"، فإن الثورة أوشكت أن تندلع.

وتوقفت بنا السيارة في ضواحي المدينة أمام بيت في طريق جانبي منعزل، وفتح الباب، وقادني الهولندي إلى قاعة في صدر البهو، وقال يعلن قدومي:

– لقد جاءت الفتاة يا سيد "هاري رايبورن".

ثم أطلق ضحكة تنطلق بالسخرية وانسحب متراجعا.

دخلت إلى الغرفة وأنا أعلم مسبقا أنني لن ألتقي بـ"هاري رايبورن"، بل كنت

أعرف أنهم يستدرجونني إلى كمين منصوب، وكان هذا هو السبب في معارضة "سوزان" لذهابي إلى الموعد المضروب.

ونهض لاستقبالي رجل كان يجلس إلى مكتب في أقصى الغرفة، وقال مرحبا:

– مرحبا بك يا آنسة "آن بيدنجفيلد".

فرددت عليه قائلة في هدوء:

– عجبا..! يبدو أنني زائغة العينين. فلست أدري إن كان من أمامي هو القس "شيشتر" أم الآنسة "بيتجرو"..! إن هناك تشابها شديدا حتى لأراني عاجزة عن التفريق بينكما.

فقال:

– لك أن تعتبري أننا شخص واحد.

وجلست وأنا أقول في تهكم:

– يبدو أنني أخطأت العنوان. فقد جئت لأقابل السيد "هاري رايبورن".

فضحك قائلا:

– "هاري رايبورن"..! لقد كنت أعتقد يا آنسة "بيدنجفيلد" أنك أذكى من أن تنزلقي – في غباء – إلى مثل هذا الفخ المكشوف.

فقلت:

– صدقت... كان تصرفي دليلا على الغباء.

ويبدو أن شيئا في لهجتي أثار شكوكه إذ قال:

– كنت أتصور أن تتلقي هذه المفاجأة بطريقة مختلفة.

فقلت:

– أكنت تتوقع مني أن أصاب بنوبة هستيرية؟

وساد بيننا الصمت هنيهة ثم قال:

– والآن فلنتكلم في العمل.

فقلت:

– معذرة يا سيد "**شيستر**".. لقد علمتني جدتي ألا أناقش شئون العمل إلا مع الرئيس الأكبر دون أعوانه.

فصاح:

– ما هذا الهراء؟ ألا تدركين أنك الآن في قبضة يدي، وأني أستطيع بإيماءة أن أبطش بك؟

فهززت كتفي في استخفاف وقلت له:

– دعك من الوعيد والتهديد فإنه لا يخيفني ولا يهز من رأسي شعرة واحدة.. إن لم أقابل السيد "**أوستاس بيدلر**" نفسه فلن أتفوه بكلمة واحدة.

وبوغت "**شيستر**" عند سماعه هذا الاسم. ثم قال:

– لحظة واحدة...

وانسحب من الغرفة ثم رجع بعد دقائق معدودات، وقال:

– تفضلي معي.. السيد "**أوستاس**" في انتظارك.

ومضى بي إلى الطابق الأعلى، ونقر على باب إحدى الغرف، ودعاني إلى الدخول.

وهب السيد "**أوستاس بيدلر**" يرحب بي وشد على يدي يصافحني بحرارة وهو يقول:

– هلا تفضلت بالجلوس.. إني سعيد بلقائك يا آنسة "**بيدنجفيلد**".

ثم جلس في مواجهتي، وتأملني بنظرة طويلة وقال:

– منذ متى وأنت تعرفين أنني "**الكولونيل**"؟

– منذ أن قال لي "**باجيت**" إنه رآك في "**مارلو**" يوم مصرع الراقصة الروسية في حين أننا كنا جميعا نعتقد أنك في "**كان**" في "**فرنسا**".

فهز السيد "**أوستاس**" رأسه وقال:

– لقد دبرت الخطة بذكاء وبراعة، ولكن سوء الحظ أراد أن يذهب "**باجيت**"

إلى "**مارلو**" في ذلك اليوم. فانكشف تدبيري كله... لقد بعثت بـ"**باجيت**" إلى "**فلورنسا**"، وأخطرت فندقي بأنني ذاهب إلى "**نيس**" لأقضي ليلة واحدة أو ليلتين على الأكثر، ثم تسللت إلى "**مارلو**" وقتلتها، وعدت على الفور إلى "**كان**" دون أن يخطر ببال أحد أني غادرت "**الريفييرا**".

وقلت له:

– وأنت بالتأكيد الذي حاولت أن تقذف بي إلى البحر من فوق سياج الباخرة "**كيلموردن**".. وكنت أنت ذلك الشبح الذي لمحه "**باجيت**" يتجول ليلا متلصصا في ممشى الباخرة فتعقب خطواته.

فهز كتفيه وارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال:

– إني آسف يا بنتي العزيزة.. إنني لا أنكر أنني شعرت بالميل إليك منذ أول لحظة التقينا فيها، ولكن كان لابد أن أزيحك من طريقي؛ حتى لا تفسدي خطتي وتقضي على مشروعاتي.

وعقبت بقولي:

– الحق أنك بارع في تدبير الخطط يا سيد "**أوستاس**"، فقد كانت خطتك على غاية من الذكاء يوم أن حاولت أن تقتلني عند الشلالات.. لقد سمعتك وأنا أمر بباب غرفتك تملي خطابا على سكرتيرتك الآنسة "**بيتجرو**". أعني السيد "**شيستر**"؛ ولذلك كان في وسعي أن أقسم على أنك كنت في جناحك.

فضحك السيد "**أوستاس**" وقال في مرح:

– نعم.. كانت خدعة رائعة، فإنك لم تكوني تعرفين أن "**شيستر**" ممثل قدير يجيد تقليد الأصوات، فقد سبقتك إلى الشلالات أترقب قدومك، وتركت "**شيستر**" في جناحي يتكلم تارة مقلدا صوتي، وتارة أخرى مقلدا صوت الآنسة "**بيتجرو**" فجازت عليك الحيلة واعتقدت أنني في جناحي أتحدث إلى سكرتيرتي.

وسألته:

– ثمة سؤال يدور بخلدي... إن "**باجيت**" بريء ولا ضلع له في مؤامرتك ولا

شان له بها. فكيف جعلته يختار الآنسة "**بيتجرو**" بالذات سكرتيرة لك؟

– الأمر على غاية من السهولة . . . لقد أوفدته إلى الغرفة التجارية ليطلب إليهم أن ينتقوا سكرتيرة لي. وكان "**شيستر**" أعني الآنسة "**بيتجرو**" في انتظاره في بهو الغرفة التجارية، فلما رأته داخلا تقدمت منه وقالت له إنني اتصلت تليفونيا طالبا سكرتيرة مؤقتة. وإن رئيس الغرفة اختارها للقيام بهذه المهمة.. وبالتأكيد صدقها "**باجيت**" بما طبع عليه من سلامة النية، وعاد بها إليّ.

وقلت له في استغراب:

– الذي يدهشني يا سيد "**أوستاس**" أنك لا تتردد لحظة في الاعتراف بما فعلت فهلا تخشى أن أشي بك؟

فضحك قائلا:

– ولِمَ أخشاك وأنت في قبضة يدي؟

وسألته:

– سير "**أوستاس**".. هل أنت واثق بنجاح الثورة وسقوط الحكومة الحالية؟

– كلا بالتأكيد.. لن تمضي إلا أيام معدودات ثم تقضي الحكومة القائمة على الثورة وتخمدها. إن الجنرال "**سمطس**" رجل قوي.

– ولكنك المحرض على قيام هذه الثورة.

– لا يا بنتي.. إنني لست إلا رجل أعمال أبيع السلاح إلى الثوار وإلى الحكومة في الوقت نفسه.

وفرغ كل ما لدي من أسئلة. وران علينا السكوت برهة ثم عدت أقول:

– قلت إنك لا تخشى جانبي وإنني رهن إشارتك فماذا تعني يا سيد "**أوستاس**"؟

وأجاب:

– لقد استدرجتك إلى عريني.. هذا أمر مفروغ منه، ولا سبيل لك إلى الفكاك

من قبضتي، ولكن المشكلة التي تواجهني هي ما عساي أفعل بك؟

إن من السهل جدا أن أقتلك وأتخلص منك. ولكنني أشعر بالميل إليك، وبي ضعف من ناحيتك؛ ولذلك قررت أن أتزوجك. وأنت تعرفين بالتأكيد أن القضاء لا يأخذ بشهادة الزوجة ضد زوجها، فمهما قلت فإن المحاكم لن تدينني بأقوالك.

فقلت في سخرية:

– هذا إذا رضيت أن أتزوجك.

– بل سأكرهك على أن تقترني بي.

– إذن فأنت واهم.. يبدو أنك لا تعرفني حق المعرفة يا سيد "**أوستاس**".

فهز رأسه في أسى وقال في مرارة:

– هذا شيء يؤسف له... وإذن فلن يبقى لدي إلا الحل الثاني.

وارتعدت للنبرة الوحشية التي نبضت بها كلماته.

وقال:

– أهناك في حياتك رجل آخر..؟

فأومأت برأسي قائلة:

– نعم.. إنني أحب رجلا آخر.

– هذا ما كنت أتوقع.. لقد ظننت في البداية أنك وقعت في هوى الكولونيل "**ريس**"، ولكني ما لبثت أن تبينت خطئي.. إنه بالتأكيد ذلك الرجل الذي أنقذك عند سقوطك إلى هوة الشلالات.

وتراجع السيد "**أوستاس**" في مقعده. وقال وهو يتنهد:

– مما يؤسف له أنك لا تحبين أن تكوني السيدة "**أوستاس بيدلر**".

وبعد سكتة قصيرة قال:

– والآن حدثينا يا فتاتي بقصتك كلها.. وأحب أن أنذرك: لا داعي للكذب.

وكنت أعرف هذا.. كنت أعرف أنه أذكى من أن أستطيع خداعه، وبدأت

اروي له القصة منذ بدايتها دون ان أكذب في حرف واحد. فلما فرغت منها قال:

– إنها لقصة عجيبة حقا.. قصاصة ورق تلتقطينها من عرض الطريق تدفع بك إلى كل هذه المغامرات والأخطار؟ لو أن غيري مكاني لما صدق حرفا مما تقولين، أما أنا فاومن بكل كلمة نطقت بها، فإن روح المغامرة والتحدي يطلان من عينيك.

ثم استطرد:

– إنك يا فتاتي ما نجوت من الموت إلا لانك امراة محظوظة، وإلا لما أفلت من يدي... إنني احترفت حياة المغامرة ولم أبلغ العشرين بعد، أما أنت فمجرد هاوية. وعندما يواجه الهواة المحترفين فالغلبة دائما للمحترف لولا أن حالفك الحظ.

وقاطعته بقولي:

– لقد رويت لك قصتي دون أكذوبة واحدة فما الذي تنوي أن تفعله بي الآن..؟

فقال:

– المهم أن أعرف أولا أين الألماسات.

فقلت:

– إنها مع **"هاري رايبورن"**.

فارتسمت على وجهه ابتسامة مرحة ساخرة وقال:

– جميل جدا... إني أريد هذه الألماسات.. وفي الحال.

فأجبت:

– مستحيل.. إنك لن تجد وسيلة للحصول عليها.

– اسمعي يا فتاتي.. إن لدي في الطابق الأسفل رجلا ألف هذه المهام. وحسبه إيماءة من أصبعي فيزهق أنفاسك.. ومع ذلك فالخيار لك: إما حياتك وإما الألماسات، فاختاري ما تشائين..

فقلت في شيء من التردد:

– و **"هاري"**..؟ ما عسى أن يكون من شانه..؟

فلاحت على شفتيه ابتسامة لطيفة وقال:

– إنني رجل عطوف رقيق القلب واكره أن افرق بين عاشقين. فور أن أتسلم الألماسات ساطلق سراحكما على شرط ألا تتدخلا في شئوني مرة أخرى.

– وما الضمان على أنك ستفي بوعدك؟

– لا ضمان على الإطلاق يا طفلتي العزيزة فيما عدا كلمتي.

وما من شك في أنني كنت أريد منه أن يعرض عليّ مثل هذا الاقتراح، فهو الشيء الوحيد الذي يتفق مع الخطة التي وضعتها قبل حضوري إلى لقائه، ولكني أبديت شيئا من التمنع والمعارضة حتى لا أثير شكوكه.

وأخيرا قبلت اقتراحه. متظاهرة بأني أذعنت له وعلى كره مني.

وقال:

– والآن خذي ورقة وقلما، واكتبي إلى حبيبك **"هاري رايبورن"** الرسالة التي سأمليها عليك.

وتناولت القلم، للكتابة فقال:

– اكتبي ما سأمليه عليك، وإياك أن تزيدي كلمة واحدة.

وبدأ يملي علي ما نصه:

حبيبي **"هاري"**:

أعتقد أنني اهتديت إلى الوسيلة التي يمكن بها إثبات براءتك من تهمة سرقة الماسات **"كمبرلي"** وتطهير اسمك. فارجوك أن تتبع هذه التعليمات بكل دقة: اذهب إلى محل التحف المملوك لـ **"أجراساتو"** واطلب إليه أن يريك تحفا أصلية ممتازة. وسيجيبك أن لديه مثل هذه التحف وسيدعوك إلى دخول الغرفة الخلفية من متجره. فاصحبه إليها، وستجد هناك في انتظارك رسولا من قبلي سياتي بك إليّ.. لا تنس أن تحضر الألماسات معك، وإياك أن تفضي إلى أحد بشيء عن خطابي هذا إليك.

وكف السيد "**أوستاس**" عن الإملاء وقال:

– والآن ذيلي الخطاب بتوقيعك. ولك أن تتخيري إن شئت أشد الكلمات تعبيرا عن حبك.

وتناولت القلم وكتبت:

«حبيبتك المخلصة الوفية – **آن بيدنجفيلد**».

وتناول السيد "**أوستاس**" الخطاب مني، وتلاه على مهل ثم قال:

– حسنا... إنه واف بالغرض تماما.. والآن اكتبي الاسم والعنوان على الظرف.

دق جرسا. وهرع "**شيستر**" إلى تلبية النداء وقال له:

– أريد أن يصل هذا الخطاب إلى صاحبه في الحال، وبالطريقة المعتادة.

ونظر "**شيستر**" إلى الاسم المكتوب على الظرف وامتقع وجهه، وكان السيد "**أوستاس**" يرقبه خفية. وقال له:

– أهو صديق لك يا "**شيستر**"؟

وأجفل "**شيستر**" وأجاب:

– صديق لي..؟ لا... إني لا أعرفه.

فابتسم السيد "**أوستاس**" ابتسامة لطيفة وقال:

– هذا عجيب، فإنك تحدثت إليه بالأمس في "**جوهانسبرج**" حديثا طويلا.

فازدرد ريقه وقال:

– لا أدري إن كان هو أم لا.. لقد أقبل علي رجل لا أعرفه وطلب إليّ بعض المعلومات عنك وعن الكولونيل "**ريس**"، وبطبيعة الحال قدمت إليه معلومات مضللة.

– بديع..! بديع جدا..!

وتطلعت إلى وجه "**شيستر**" وهو يغادر الغرفة ورأيته ممتقعا شديد الشحوب؛ لفرط فزعه ورعبه.

وما كاد يوصد الباب وراءه حتى قال السيد "**أوستاس**": إن "**شيستر**" خانني،

واتفق مع أعدائي.

ثم رفع سماعة التليفون الداخلي وتكلم فيها قائلا:

– "**شوارت**".. راقب "**شيستر**" جيدا، وإياك أن يغادر البيت لأي سبب كان دون أمر مني.

وحين أعاد السماعة مكانها قلت له:

– السيد "**أوستاس**".. هل تسمح لي بأن أوجه إليك سؤالا..؟

– سلي ما بدا لك، ولن أضن عليك بالجواب.

– إنك تعرف "**هاري رايبورن**" حق المعرفة، فلماذا ألحقته بخدمتك سكرتيرا لك ولم تسلمه إلى الشرطة؟

– لأني كنت أريد هذه الماسات اللعينة.. كانت "**نادينا**" تستغل "**هاري**" في تهديدي، فقد أنذرتني بأنها ستسلمه الألماسات إن لم أنقدها ثمنا طيبا، فدعوتها إلى "**فيللا الطاحونة**" وقتلتها لاستولي على الألماسات ظنا مني أنها كانت تحملها معها، ولكنها كانت أذكى مني وأدهى. وكان زوجها "**كارتون**" قد مات أيضا مصعوقا بالقضبان المكهربة، ولم يكن لدي أي أثر يرشدني إلى مخبأ الألماس. ثم علمت أن برقية أرسلت إلى "**نادينا**" من الباخرة "**كيلموردن**"، وإن كنت لم أعلم إن كان صاحبها هو "**كارتون**" أم "**رايبورن**"، واستطعت أن أحصل على صورة هذه البرقية، فإذا بها صورة طبق الأصل من القصاصة التي وقعت من الطبيب في النفق والتقطتها أنت؛ إذ لم يكن مدونا بها إلا هذه الكلمات: **1.22.17**، فاعتقدت أن هذا التاريخ موعد مضروب لمقابلة "**رايبورن**". فلما جاءني يزعم أنه موفد إليّ من وزارة الخارجية ليصحبني في رحلتي إلى "**جنوب إفريقيا**" بصفته سكرتيرا لي أدركت على الفور أنه كاذب وأن الوزارة لم توفده إليّ، ولكني حين رأيت لهفته إلى السفر أيقنت أنه ذاهب إلى الموعد المحدد في البرقية فاصطحبته معي ليكون تحت رقابتي، حتى إذا وقعت الألماسات في يده انتزعتها منه بوسائلي الخاصة.

– والكولونيل "ريس" .. ؟ ماذا كان شأنه في هذه الأحداث؟

– إنني أعرفه من قبل وأعرف أنه من رجال المخابرات. وحين وقعت سرقة الماسات في "كمبرلي" كان موجودا هناك.. وفي أثناء الحرب كان يحوم حول "ناديا" ويراقب تحركاتها، إذ كانت تعمل جاسوسة تحت إشرافي، ولكنه فشل في الإيقاع بها.

واستطرد السيد "أوستاس":

– فلما ظهر الكولونيل "ريس" في الباخرة استولى عليّ الخوف، وخطر لي انه جاء بعقبي.. نعم.. إن الكولونيل "ريس" هو الشخص الوحيد الذي أخشاه.. إنه رجل ذكي، وقوي الشكيمة وشديد العناد.

ورن جرس التليفون. فتناول السيد "أوستاس" السماعة، وسمعته يقول في البوق:

– حسنا.. سأقابله بعد لحظات.

ثم التفت إلي قائلا وهو يعيد السماعة إلى مكانها:

– لقد جاءني زائر يا آنسة "بيدنجفيلد" فدعيني أرشدك إلى غرفتك.

ومضيت إلى غرفتي، وحمل إليّ أحد الخدم حقيبة ثيابي، وكانت بين الحقائب التي طلبت "سوزان" إلى السيد "أوستاس" أن ينقلها مع أمتعته، كما جاءني الخادم بإناء مملوء بالماء الساخن، وقال لي:

– لقد أمرني السيد "شيستر" أن أحمل إليك الماء فقد تحبين أن تغتسلي.

وبدأت أتهيأ للاستحمام، وتناولت كيس الإسفنجة التي سأدلك بها جسدي، ولمست يدي شيئا صلبا في قاع الكيس.

وما كان هذا الشيء الصلب إلا مسدسا صغيرا، وعجبت! من الذي دسه في الكيس؟! أيكون "شيستر" هو الذي فعل ذلك لانه انضم إلى أعداء السيد "أوستاس"؟

وفحصت المسدس فإذا به محشو بالرصاص.

وما إن ارتديت ثيابي حتى دسست المسدس في جوربي، فما يدريني أنني قد

أحتاج إليه؟

- 31 -

في الحادية عشرة قُدِّم إلي الشاي. وفي موعد الغداء جيء إليّ بوجبة شهية من الطعام، وفي ساعة متأخرة من ظهيرة اليوم نفسه دعيت إلى مقابلة السيد "أوستاس بيدلر".

وتحول إليّ قائلا:

– إن صديقك الشاب في طريقه إلينا الآن، ولن تمضي دقائق حتى يصل. وتطلع إليّ السيد "أوستاس" بنظرة فاحصة وقال:

– لقد حذرتك صباح اليوم من أن تكذبي عليّ وأنت تسردين عليّ قصتك، ولكنك حاولت أن تخدعيني في جزء من القصة.

ورفعت إليه وجهي مستفسرة عما يقصد، فاستطرد:

– إنك حاولت أن تقنعيني بان الالماسات في حوزة "هاري رايبورن"، ولم أحاول أن أقول لك إنك كاذبة، وإنما سلمت بقولك لغرض في نفسي، فقد كنت أريد أن أستدرج "هاري" إلى الحضور إلى عريني هنا. ولكنني أحب أن أقول لك أيتها العزيزة إن الالماسات كانت في حوزتي منذ أن غادرت مدينة الشلالات، وإن لم أكتشف هذه الحقيقة إلا ليلة الامس.

فهتفت:

– إذن فأنت تعرف..؟

فقال باسما:

– ولعله يسرك أن تعلمي أن هذا الأبله "باجيت" هو الذي كشف لي هذه الحقيقة.. لقد حدثني بالأمس عن لفافة أفلام ألقيت إلى إحدى المقاصير من خلال أنبوبة التكييف، ولم يكن عسيرا عليّ بعد هذا أن أستنتج سر هذا الحادث. ولما كانت السيدة "بلير" ترتاب في الكولونيل "ريس" فقد عهدت إليّ ببضعة صناديق أودعتها شيئا من متاعها وطلبت إلي أن أضمها إلى متاعي، وأن أشحن بعضها إلى

"**كيب تاون**" وأستبقي الصناديق الصغيرة معي.

وقد ظن "**باجيت**" أن الصناديق الصغيرة تخصني، فأفرغ محتوياتها ليتسقها، فلما أخبرني بذلك لمته على أن عبث بصناديق السيدة "**بلير**". ولما سألته عما تضمه هذه الصناديق ذكر لي أن من بين محتوياتها مجموعة من الأفلام، فخطر لي أن من بينها ذلك الفيلم الذي قذف به إلى مقصورتها من أنبوبة التكييف، وقد استنتجت أن الألماس مخبوء فيه، فجئت بالأفلام وفحصتها، فوجدت أن لفافة منها أثقل من غيرها، فأدركت دون عناء أن هذه اللفافة هي مخبأ الألماسات التي أسعى إليها، وما كدت أفضها حتى تناثرت منها الأحجار الكريمة.

وضحك السيد "**أوستاس**" وأردف يقول:

– مما يؤسف له يا عزيزتي أنك رفضت أن تكوني السيدة "**أوستاس بيدلر**"..! فالألماسات الآن معي في حوزتي. وأنت وصاحبك "**هاري رايبورن**" في قبضة يدي.

وترامى إلى أذني وقع أقدام مسرعة ترتقي الدرج، ثم فتح الباب دفعة واحدة، ودخل "**هاري رايبورن**" يحف به رجلان من أعوان السيد "**أوستاس**".

ولاحت على شفتي السيد "**أوستاس**" ابتسامة انتصار وقال:

– كانت خطتي رائعة..! إن الهواة لا يملكون شيئا حيال المحترفين..! إن الغلبة دائما للمحترف.

وقال "**هاري رايبورن**" في جفوة وخشونة:

– بحق السماء ما معنى هذا كله؟

وأجابه السيد "**أوستاس**" في دماثة ورقة:

– معناه يا عزيزي "**رايبورن**" أنك جئت بنفسك إلى عرين الأسد طائعا مختارا تسعى على قدميك.

فألقى "**رايبورن**" بنظرة غاضبة إلى ناحيتي وقال:

– ولكنك قلت يا "**آن**" إنني أستطيع أن أحضر في أمان.

فرد عليه السيد "**أوستاس**" بقوله:

– لا تنح عليها باللائمة يا صديقي العزيز، فأنا الذي أمليتها الرسالة التي بعثت بها إليك، وكانت في موقف لا يسمح لها بأن تعصي أوامري.

ولكن يجب أن أعترف لك بأنها لم تكن متواطئة معي، بل كانت مخدوعة في وقد نفذت أنت تعليماتها بكل دقة. ذهبت إلى متجر التحف، وما إن دخلت إلى الغرفة الخلفية حتى ألفيت نفسك في قبضة أعدائك.

ونظر إليّ "**هاري**" خلسة وغمز بعينيه غمزة خفيفة، وأدركت مغزى نظرته ومرماها، واقتربت من السيد "**أوستاس**" حتى صرت على قيد خطوة واحدة منه.

وقال السيد "**أوستاس**" في نبرة فوز وانتصار:

– ما أسوأ حظك يا "**هاري رايبورن**"..! لقد سبق أن أفلت من يدي، أما في هذه المرة فلا مهرب لك.

وأجابه "**هاري**" في سخرية واستخفاف:

– أتظن ذلك؟ سوف نرى...

والتفت إليّ "**هاري**" قائلا في كلمات سريعة:

– "**آن**"..! صوبي إليه المسدس.

وكنت متهيئة أترقب صدور الأمر. فما كادت شفتاه تنفرجان عن الكلمات حتى أبرزت المسدس من داخل جوربي وصوبته إلى رأس السيد "**أوستاس بيدلر**".

وكانت مفاجأة لم يتوقعها أحد.

حملق السيد "**أوستاس**" دهشا وذهولا، وكذلك حملق الرجلان اللذان يحفان بـ"**هاري**".

ودوى صوت "**هاري**" في نذير ووحشية:

- "آن"... أطلقي عليه النار فورا إذا أبدى أحد أي حركة... إياك أن تترددي.

فقلت:

- ثق بأنني لن أتردد.

وبان الخوف في وجه السيد "أوستاس" حين رآني ألوح بالمسدس وهتف برجليه:

- لا تتحركا.. إن إصبعها على الزناد.

وقال "هاري":

- مُرهما أن يغادرا الغرفة.

وأصدر إليهما "أوستاس" أمره بالانصراف، وأغلق "هاري" الباب وراءهما، وأحكم إغلاقه بالرتاج. ثم تحول إليّ وأخذ المسدس وقال السيد "أوستاس":

- يا إلهي!! من أين جاءت "آن" بهذا المسدس؟ لقد فتشت بنفسي متاعها،

فقاطعه "هاري":

- دعك من المسدس ولا تضيّع الوقت عبثا. ولنناقش ما جئنا من أجله.

فتأمله السيد "أوستاس" بنظرة طويلة وقال:

- لا أنكر أن لك الآن اليد العليا، ولكن ألا تعلم أن البيت مملوء بأعواني؟

فأغرق "هاري" في الضحك وقال:

- أتحسب حقا أنه انتصار مؤقت؟ إذن أنصت إلى هذا...

فقد ارتفعت من الطابق الأسفل في هذه اللحظة طرقات على الباب، ثم دوي طلقات نارية.

وشحب وجه السيد "أوستاس" وقال متسائلا:

- ما هذا؟ ما هذه الضجة؟

- هذا هو الكولونيل "ريس" ورجاله...

- ولكن كيف جاءوا؟ من الذي استدعاهم؟

- هدئ من روعك يا سيد "أوستاس".. إنك لا تعلم أن بيني وبين "آن" اتفاقا

شفويا في كتابة الرسائل.. إننا نعلم أننا معرضان خلال هذه المغامرة للوقوع في المكائد؛ ولذلك اتفقنا على أن نضمن كل رسالة يكتبها أحدنا للآخر حرف الـ"واو" مشطوبا، فإذا لم يرد حرف الـ"واو" المشطوب ضمن الرسالة عرفنا أن كاتبها أكره على كتابتها بالتهديد. فلما جاءتني رسالة "آن" التي تستدعيني فيها إلى الحضور، بحثت في سطورها عن حرف "واو" مشطوب فلم أجده، فأدركت أنك أرغمتها على تحرير هذا الخطاب، فذهبت به إلى الكولونيل "ريس" واتفقنا على خطة العمل. وهكذا بعث "ريس" ببعض رجاله يرقبون متجر التحف ويحيطون به من جميع نواحيه. فلما غادرته من باب سري غير الباب العام الذي دخلت منه، تعقبني المخبرون السريون، واكتشفوا موقع عرين الأسد.

واشتدت الضجة المتصاعدة من الطابق الأسفل، وبدا أن رجال الكولونيل "ريس" شرعوا يحطمون الباب. واشتد دوي الرصاص صادرا من ناحية الطريق، وتعالت الصرخات، وقال السيد "أوستاس بيدلر":

- يبدو أن الثورة قد اندلعت.

وكان على حق في هذا فقد دوت بعض طلقات المدافع وسقطت قنبلة على البيت المقابل فهدمت جزءا من البناء وأشعلت فيه النار. حتى كاد أوار اللهيب يلفح وجه السيد "أوستاس" ورفاقه.

وقال "هاري رايبورن":

- لقد انتهت اللعبة يا عزيزي "أوستاس".. إنك الآن في قبضة العدالة وفي هدوء قال له السيد "أوستاس":

- أتظن ذلك؟ إنك مخدوع يا صديقي، فما زالت عندي كلمة أخيرة.. أقولها.. ربما استطعت أن تبرئ نفسك من تهمة سرقة جواهر "كمبرلي"، وربما أمكنك أن تبرهن على أنني السارق، ولكنك لن تستطيع أن تقيم الدليل على أنني قاتل الراقصة "نادينا"، فكل ما لديك ضدي هو أنني كنت موجودا في "مارلو" يوم وقوع الجريمة، ولكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن بيني وبين هذه المرأة

أية علاقة..

ثم أردف السيد "أوستاس" في اعتداد وثقة:

– أما أنت فالأمر مختلف بالنسبة إليك. فأنت تعرفها، ولديك الدافع إلى قتلها، ثم إن لك سجلا حافلا بالجرائم.. ثم لا تنس يا صديقي أنك لص، ولا تنس أيضا أن الماسات موجودة عندي في حوزتي وهي الوسيلة الوحيدة إلى تبرئتك من تهمة السرقة.

ثم رفع ذراعه وهو يقول:

– وها هي ذي الماسات يا صديقي.

وطوحها بأقصى قوته عبر النافذة إلى البيت المجاور الذي كانت تلتهمه النيران فوقعت وسط اللهيب المندلع.

وقال السيد "أوستاس" ضاحكا في سخرية:

– ها هو ذا دليل براءتك من تهمة سرقة "كمبرلي" قد ابتلعته النيران؛ ولذلك يمكننا الآن أن نتبادل الحديث في حكمة وتعقل، إنك تريد أن تطهر اسمك من تهمة سرقة الماس، ودليل براءتك ذهب طعمة للنيران. ولكنني على استعداد لأن أحرر لك اعترافا بأنني أنا السارق وأنني أنا أيضا الذي قتلت الراقصة "نادينا"، وذلك مقابل أن تطلق سراحي وتدعني أذهب إلى سبيلي.

وهتف "هاري":

– محال.. لن أقبل هذا العرض إطلاقا.. محال أتخلى عن "ريس" وأدعك تهرب حتى لو كان ذلك على حساب حريتي.

وضحك السيد "أوستاس" قائلا:

– إنك أحمق مجنون! أترفض هذا العرض السخي الذي فيه نجاتك. وذلك لأمور ليست سوى اعتبارات أدبية؟

وقال "هاري" في إصرار:

– إني أرفض.

وسمعت طلقات نارية تدوي داخل البيت ووقع أقدام مسرعة ترتقي الدرج، ثم قرع على الباب، وحرك "هاري" المزلاج ودخل الكولونيل "ريس" شاهرا مسدسه وقال يخاطب سيد "أوستاس":

– أخيرا وقعت في يدي ولا مهرب لك.

فتطلع إليه في هدوء واستخفاف قائلا:

– ماذا تعني بهذا الهراء الذي تردده؟

فأجابه "ريس":

– أعني أنني اكتشفت شخصيتك الحقيقية يا سيد "أوستاس".. أعني أنني أعرف أنك الكولونيل! وآخر تهمة أوجهها إليك هي أنك قتلت الراقصة "نادينا". ففي اليوم الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) لم تكن موجودا في "كان" كما تدعي وإنما كنت موجودا في "مارلو" ساعة مصرعها.

– حقا؟ ومن أين جئت بهذه المعلومات القيمة؟ من صاحبنا "هاري رايبورن" سارق الماسات "كمبرلي"؟

– كلا.. بل من شاهد آخر..

وفتح الكولونيل "ريس" باب الغرفة، وأومأ بيده. وتلبية لإشارته دخل الغرفة القس "شيستر".

وقال الكولونيل "ريس":

– هذا هو الشاهد الذي سيبعث بك إلى المشنقة يا سيد "أوستاس".

وتطلع السيد "أوستاس" إلى رجله الذي غدر به وغمغم قائلا في مرارة وأسى:

– صدق من قال: «عندما تغرق السفينة تفر منها الجرذان».

وانبريت أقول:

– وثمة شيء آخر يا سيد "أوستاس".. إنك تعتقد أنك رميت الماسات وسط النار، ولكن هذا غير صحيح، فإنك لم تلق في النيران إلا قطعا من الزجاج، فإننا لم نخبئ الماس الحقيقي في لفافة الفيلم، وإنما وضعنا بدله بعض قطع زجاجية على

سبيل التمويه.

فسألني السيد "**أوستاس**" في فضول:

– وهل يمكن أن أعرف أين خباتم الألماسات؟

فضحكت وأجبته:

– في بطن دمية الزرافة التي رجوناك أن تحملها.

– يا إلهي!.. ما أغباني إذن!

وانبرى "**هاري رايبورن**" يقول:

– لقد أدهشك أن ترى مسدسا في يد "**آن بيدنجفيلد**"، وتساءلت كيف وصل إليها، فاعلم إذن أن مساعدك "**شيستر**" هو الذي دسه في متاعها. لقد استطعنا أن نضمه إلى صفنا في الآونة الأخيرة.

فعاد السيد "**أوستاس**" يردد من جديد:

– صدق من قال إن الجرذان تسارع إلى الهرب فور أن توشك السفينة أن تغرق.

وفي استسلام وخنوع مد يديه إلى القيد الحديدي. ودارت الأغلال بمعصميه وغادر الغرفة منكسًا رأسه مخذولا.